عائد من متاهة
الحياة
د.عمر الكرمة

عائد من متاهة الحياة

د. عمر الكرمة

دار القلم

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأي شكلٍ من الأشكال، أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونيةٍ أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة المؤلِّف والناشر مقدمًا.

No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any way from or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the author and the editor.

- الكتاب: عائدٌ من متاهة الحياة
- المؤلف: د. عمر الكرمة
- نوع العمل: التنمية البشرية وتطوير الذات
- مراجعة لغوية وتدقيق: الأستاذ عبد العزيز فتيان
- الطبعة الأولى: 1444 هجري ، 2023 ميلادي، الرباط
- الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، الرباط
- رقم الإيداع: 2023MO0109
- الترقيم الدولي: 978-9920-626-82-8

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار أو أحداث أو آراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

جميعُ الحقُوقِ محفوظَة

إهداء

إلى والديَّ الغاليين.

إلى التي حملت وأنجبت وربَّت،

إلى التي أعطت دون منعٍ وبذلت دون ادِّخار،

إلى التي غمرتني بحنانها وعطفها منذ نعومة أظافري،

إلى التي لا يمرُّ عليّ يومٌ يهنأ لي فيه بالٌ إلا إذا قبَّلت رأسها،

إلى الشمس التي تضيء ظلمتي والقمر الذي ينير دربي،

إلى أمّي غاليتي.

حفظكِ الله وأطال عمركِ.

إلى الذي بالكاد أتذكر ملامح وجهه،

إلى الذي فارقني وأنا ابن اثنتي عشرة سنة،

إلى الذي مازال طيف حنانه يعانق مخيلتي،

ومازال الشّوق إليه بداخلي يكبر يومًا بعد يوم،

إلى الذي تمنيت لو قضيت معه مزيدًا من العمر،

إلى الذي كان دائم القول لي: "إيّاك والتقصير في الصلاة!"

إليك يا أبي الغالي.

رحمكَ الله وأدخلكَ فسيح جناته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين زوايا الحياة

دار القلم

مقدمة

لي الشرف أن أضع بين أيديكم أول كتابٍ لي أؤلفه بأنامل خطّت هذه السطور وكلها أملٌ أن تحمل لكم كلَّ ما هو راقٍ من كلماتٍ وأفكارٍ وعبر.

لطالما كانت الكتب مصدر شغفٍ وعشقٍ لي وللكثير من النّاس غيري.

فكم أحببنا التجوال والاستمتاع بين صفحات كتبٍ اغترفنا منها الكثير من المعارف والحِكم.

وكم قضينا من الأوقات التي لا تُنسى بين أحضان كتابٍ ظلَّت عباراته محفورةً في ذاكرتنا وكأن ذلك الكتاب أصبح جزءًا لا يتجزأ من حياتنا.

فهذا الكتاب الذي بين أيديكم هو بكل بساطةٍ نتاج ما ألَّفته خلال مدةٍ من الزمن ليست بالقصيرة، أحاول من خلاله التطرق إلى مجموعةٍ من المحطات التي قد يمر المرء منها في حياته، وانعكاسات ذلك على نفسيَّته بالدرجة الأولى.

ناهيك عن آثار ذلك على طريقة تفكيره وطبيعة تصرفاته، محاولًا في نفس الوقت إبراز دور العامل الدّيني والاجتماعي وحتى الثّقافي في ذلك.

راجين من الله عزَّ وجل أن ننفع به وننتفع.

١

مع الله

يمرُّ المرء خلال حياته بفتراتٍ يجد نفسه فيها في أمسِّ الحاجة إلى سندٍ يكون له ذراعًا تقيه وتخفِّف عنه وطأة السُّقوط، ويكون له ساعدًا على مشقَّات ومصاعب الحياة.

فطبيعة الإنسان في هذه الحياة تجعله غير مستقر الوضع، إذ تتوالى عليه أوقات اليسر والعسر فتجده متأرجحًا بين هذا وذاك، فالمرء بطبعه ميَّالٌ أشدَّ الميل لحياةٍ يملؤها الرَّغد والاستقرار وطيب العيش وغيرها ممّا لذّ وطاب من نعم وخيرات الدنيا.

في هذه اللَّحظة بالضبط، يأتي دور ذلك الرابط الذي يجمع الإنسان بربه ويُقوّي صلة العابد بمعبوده، فالمرء عبارةٌ عن جسدٍ وروح.

أمّا الأول فهو مزيجٌ من عظامٍ يكسوه لحمٌ ثم جلدٌ ناهيك عن الشّرايين والأوردة والأعصاب وباقي الأعضاء الوظيفية والتي لابد منها للحياة، وأمّا الرُّوح فهي الجوهر الحقيقي للإنسان، وهي أساس كل ما يسمو به عن باقي الموجودات...

بصياغةٍ أدقّ، فالجسد هو قالب الروح ووِعاؤها، وهو المسؤول أيضًا عن تلك النزوات والشهوات البيولوجية من أكلٍ وشربٍ ونومٍ وغير ذلك، أمَّا الرُّوح فهي لبُّ المرء وأساس ماهيَّته.

أمَّا من منظورٍ علميٍّ محض، فالجسد يمثل كل ما هو عضويٌّ في الإنسان، عكس الروح التي لا نعرف لها طبيعةً فيزيائيّة.

فذاك الفراغ الروحيُّ الذي يرهق المرء ويُضني عيشه ويحيط به من جميع جنباته، لا يمكن التخلص منه إلا عن طريق تقوية أواصر الترابط بين الخلق والخالق.

فذاك الحبل الذي تركه الله عزَّ وجل ممدودًا لعباده بدون استثناء، الصغير منهم والكبير، الشكور منهم والجحود، الطائع منهم والعاصي...، ذاك الحبل نفسه هو الذي يجب على المرء اللجوء إليه ليس فقط عند كل ضائقةٍ تمرُّ به، بل كذلك عند كل نعمةٍ تحلُّ به.

فمن حاز المعنى الحقيقيَّ للعبد الشَّكور تجده يعلم تمام العلم ويوقن كل اليقين أن شُكر ربه لا يكون فقط وقت الرَّخاء والنِّعم، بل يكون كذلك وقت الشِّدة والنِّقم.

فها هو "أبو بكرٍ الصِّديق" رضي الله عنه يغمر قلبه الحزن في غار ثورٍ خوفًا على رسول الله -عليه الصَّلاة والسَّلام- من الكفار ومن بطشهم، ومخافة انقطاع الوحي والرسالة، فما كان ردُّ رسولنا عليه الصَّلاة والسَّلام إلا أن قال:

"لا تحزن إنَّ الله معنا".

وها هم قوم "إبراهيم" -عليه السَّلام- يهُمُّون بحرقه، فيأتيه "جبريل" -عليه السَّلام- سائلًا إياه:

"ألك حاجة؟"

فردّ عليه السَّلام: "أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم".

وها هي أمُّنا "هاجر" -عليها السَّلام-، إذ يهُمُّ خليل الله "إبراهيم" بتركها هي وابنها الرضيع وسط شمسٍ ملتهبةٍ وصحراءٍ قاحلةٍ، لا طعام فيها ولا ماء، بل ولا طيْر يطير فيها ولا وحشٌ يسير!

فما كان لها إلا أن سألته: "آللّه أمرك بهذا؟"

فقال: "نعم"،

فقالت: "إذن، لن يضيعنا الله".

هذه القلوب التي تفيض ثقةً بالله عزَّ وجل وفوضت كل أمورها له، ليس فقط إيمانًا وإجلالًا، بل يقينًا وتأكدًا من قدرة الله عزَّ وجل، فأمره بين الكاف والنّون، إذا أراد شيئًا فإنّما يقول له كُنْ فيكون.

"فهو الذي بيده مقاليد الأمور يقلِّبها كيف يشاء"

كن مع الله ولا تبالِ:

وقت الشدة ووقت الرخاء،

وقت الحزن ووقت الفرح،

وقت الفشل ووقت النجاح،

وقت العسر ووقت اليسر...

كن مع الله أينما ووقتما وكيفما كنت، وتذكَّر دائمًا:

"إذا كان الله معك فمن عليك؟

وإذا كان الله عليك فمن معك؟"

٢

السَّلام عليك يا رسول الله

السَّلام عليك حيًّا وميتًا يا رسول الله.

السَّلام عليك يوم أُحُدٍ، يوم شُجَّ وجهك الشريف وكُسِرت رباعيتك، فدعوت قائلًا:

"اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".

السَّلام عليك يوم خُيِّرت بين المُلك أو الرسالة والعبودية، فاخترت أن تكون عبدًا رسولا.

السَّلام عليك يوم خُيِّرت بين الخلود في الدنيا وبين لقيا ربك فرددت قائلًا:

"بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى".

السَّلام عليك يوم تقوم فينا فتخاطب ربك قائلًا:

"أمّتي...أمّتي يا ربّ...!"

السَّلام عليك دائمًا وأبدًا يا رسول الله.

"وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين"

هذه الرحمة التي لو تأملت فيها ولو قليلًا ستجدها تنبثق من صميم القلب وينابيعه، حاملةً معها اهتمامًا لا ينتقي ولا يفاضل بين هذا وذاك، بل يحيط بالكل محاولًا جاهدًا العبور بهم إلى ضفة الأمان.

هذه الرحمة التي لطالما تجسدت في أفعال رسولنا عليه الصَّلاة والسَّلام، مع الصغير والكبير، الرجال والنساء، المسلم وغير المسلم، بل حتى مع الحيوان والجماد.

هذه الرحمة بتفاصيلها هي ما نحتاجه في حياتنا اليومية داخل مجتمعاتنا وبيوتنا، هي ذلك السر الخفي وراء قدرة المرء على العيش بطريقة سليمةٍ دونما ميلٍ لاستضعاف الآخرين وظلمهم.
هي ذلك الأسلوب الرفيع الذي يفتح الأبواب قبل القلوب، ويسقي أفئدة الناس بعد طول عناءٍ ومشقة.

"كان خلُقه القرآن"

خلُقٌ ما بعده خلُق!

خلُقٌ يُدخِلك القلوب دون استئذانٍ، ويفتح لك الأبواب ويقرِّب إليك النفوس ويؤلِّفها رغم اختلافها.

فكيف لنا أن نتصور كيف يكون حال رجلٍ تنهلُ أخلاقه من منابع القرآن الكريم؟!

كيف هو حال تعامله مع الناس؟

كيف هو أسلوب حياته الذي يجذب إليه الصغير والكبير؟

كيف كان هذا المنهج الفريد من نوعه الذي كان يعمل به في الحياة حتى استطاع توحيد قلوب العرب والعجم على دينٍ واحد؟

بل وخلق بينهم تآلفًا وتراحمًا جعلهم يتعايشون كالإخوة فيما بينهم حتى وإن اختلفت أرحامهم؟!

كيف لنا أن نتخيل ولو محاولين مبادئ وشيم رجلٍ فاق الخلائق خَلْقًا وخُلُقًا صلوات ربي وسلامه عليه؟!

وأحسنُ منك لم ترَ قطُّ عيني

وأجملُ منك لم تلِد النِّساءُ

خُلِقت مبرءًا من كل عيبِ

كأنَّك قد خُلِقت كما تشاءُ

حسَّان بن ثابت

لكن المعلوم الذي لا ريبة فيه هو أن هذه المكارم من الأخلاق التي بُعِث عليه الصَّلاة والسَّلام من أجل إتمامها، هي ما علينا أن نتشبَّع بها وندعها تتغلغل في أعماقنا وتداعب نفوسنا.

فالمجتمعات والحضارات لا تقوم إلا بالحفاظ على قيمها ومبادئها وأخلاقها، غير ذلك فحاله كحال الذي يسكب الماء في الرمل، لا هو انتفع به ولا هو تركه لغيره ممن هو في حاجةٍ له.

"إنَّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ

فإن هُم ذهبتْ أخلاقُهُم ذهبُوا"

أحمد شوقي

صلُّوا على الذي بُعِث رحمةً للعالمين،

صلُّوا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة،

صلُّوا على من انشق له القمر،

وبكى لفراقه الشجر،

وسبَّح في يده الحجر،

صلُّوا على سيِّدِ الخلائق وصفيهم،

من يقوم فينا فينادي يوم القيامة "يا ربِّ أمتي، أمتي..."،

صلُّوا على بدر الضِّياء ونور الهدى،

صلُّوا على من تدخلون بشفاعته دار السّلام،

صلُّوا على من علَّمنا الحب،

وآخى القلب بالقلب،

وفتح للخير كل درب،

صلُّوا على من وُلِد يتيمًا،

وعاش كريمًا،

ومات عظيمًا،

صلُّوا على سيدنا محمد وسلِّموا عليه تسليمًا كثيرا.

٣

وبالوالدين إحسانا

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا﴾

الإسراء، 23

تأمّل(ي) عزيز(ت)ي القارئ(ة) الفعل الذي ابتدأت به هذه الآية الكريمة "وقضى"، بمعنى ألزم وأوجب على عباده ما يلي من الأحكام التي ستُذكر فيما بعد، وفي ذلك دلالةٌ واضحةٌ على أهمية ومكانة هاته الأحكام والانصياع لها، فمن غير المعقول أن يمرّ المرء على هكذا تعبيرٍ دون إعارته ما يكفي من الانتباه لفهم معناه الحقيقي، واستيعاب المراد منه.

ثم بعد ذلك وما أثار إعجابي وانبهاري هو كون الآية قد قرنت بين عبادة الله عزَّ وجل والتي هي أسمى أهداف الوجود، وبين الإحسان للوالدين والبِرِّ بهما.

فمباشرةً بعد وجوب أمر العبادة لله عز وجل، ألزمت الآية برَّ الوالدين ومعاملتهما بحُسنٍ، والكلام معهما بأدبٍ ولباقةٍ وغيرها من أشكال البرّ، وهذا من تعظيم مكانة الوالدين في ديننا، وهذا لا يقتصر فقط على هذه الآية، بل ويشمل عدة مواضع أخرى في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة أيضًا.

"أمك، ثم أمك، ثم أمك!"

أتذكر مرةً عندما كنت صغيرًا وأنا ألعب في زقاق حيِّنا، إذ بي أتشاجر مع صبيٍّ آخر، فدخلت على أمّي وأنا أذرف الدموع، فسألتني بنبرةٍ تُخفي وراءها كثيرًا من الغضب قائلةً:

"من اعتدى عليك يا بني؟"

هذا السؤال الذي لم يفارق ذاكرتي لهذه اللحظة التي أخطُّ فيها هذه السُّطور، فكلما تمعنت في طريقة طرح السؤال وجدته فيّاضًا بالعاطفة والحنان.

فمن باب المنطق أن يكون السؤال المحايد هو:

"ماذا جرى معك يا بني؟"

لكن طبيعة الأم دائمًا ما تغلب عليها العاطفة والميول تجاه أولادها وفلذات كبدها، ففي اللحظة التي رأتني باكيًا، وقع في ذهنها انطباعٌ مفاده أنه مهما كان الذي قد جرى معي، فأنا هو الطرف المظلوم أو المعتدى عليه من دون شك، دون الحاجة أصلًا إلى استبيان الواقعة أو إلى الاستماع للطرف الآخر.

هذه العاطفة المنقطعة النَّظير، هي نفسها تلك العاطفة التي كانت تدفع أمّي إلى أن تنهض من سريرها في دجى الليل لتتفقد أحوالي وأنا نائمٌ، فتجدني تارةً ملقًى من فراشي على الأرض، وتارةً أخرى وأنا أرتعش بردًا، فتلفني بغطاء حنانها وتسقيني من بئر عطفها.

وهي ذاتها تلك العاطفة التي كانت تدفعها لتمد لي أجود ما يكون حاضرًا من الطعام والشراب ونحن نجتمع على مائدة الأكل، وتفضِّلني حتى على نفسها!

وهي تلك العاطفة التي كانت تدفعها لتصحو من النوم باكرًا كل صباحٍ لترسلني للمدرسة، سواءٌ أكان الجو صحوًا، أم بردًا، أم ممطرًا...، علَّها تحصد في يومٍ من الأيام ثمار ما زرعت حينها، وترى ابنها يتسلق سلم النجاح ويحجز له مكانًا بين علية القوم.

فالأمُّ هي تلك المرأة العظيمة التي قد تضحي بنفسها إن تطلَّب الأمر ذلك في سبيل أن يكون أبناؤها على خير ما يرام.

هي تلك المرأة المُحبة الحنونة التي كبرنا بين يديها، وفي دفء قلبها احتمينا، ومن عطائها ارتوينا.

تبقى كما هي دائمًا ولا تتغير، في صغرها وفي كبرها، في حياتها وحتى بعد مماتها.

الأمُّ عطرٌ يفوح شذاه فيُنعِش مشاعرنا، وعبيرٌ يسمو في علاه فتزدان به دروبنا.

مع كل إشراقة شمسٍ نرى صورتها أمامنا، ومع كل تغريدةِ طيرٍ يملأ صوتها النّاعم ويُطرب مسامعنا.

عندما تنقضُّ علينا الأفكار وتزورنا الأحزان، عندما تضيق صدورنا بالهموم ونتيه في غياهب الظلمات، عندما نحتاج إلى وطنٍ يحمينا وصدرٍ يأوينا، ننادي بكل بساطة:

"أمّي!"

الأمُّ هي ذلك الوطن الذي يحتضنك ويأويك عندما يخونك الجميع.

هي تلك التي إن طلبت منها عمرها وهبته لك دون مقابلٍ أو تردُّد،
هي مِداد الحبِّ وينبوع الحنان.

"الأمُّ بكل بساطةٍ هي الحياة"

الأمُّ مدرسةٌ إِذا أعددتها

أعددت شَعبًا طيِّب الأعراق

الأمُّ روضٌ إِن تعهدهُ الحيا

بِالرِي أَورقَ أيما إيراقِ

الأُمُّ أستاذ الأَساتِذة الأُلى

شَغَلت مَآثرهُم مَدى الآفاقِ

حافظ إبراهيم

"حدثوني عن الأب فقالوا!"

يُروى أن شابًا نشأ نشأةً فارهةً بحيث استطاع والده أن يوفر له كل احتياجاته منذ الصغر، حتى أصغر الكماليات، ولم يبخل عليه بأي شيءٍ، فأدخله أحسن وأغلى المدارس، وعندما كبُر اشترى له سيارةً فخمةً حتى يتباهى بها وسط زملائه.

ولكن هذا الشّاب في الواقع كان لا يرى أي وجودٍ لوالده في حياته، وكان أصدقاؤه هم أهم الأشخاص لديه، فكان يرى أنهم أهم حتى من والده ووالدته، بالرغم من أنه لولا الأموال التي كان يحصل عليها من والده، لما استطاع أن يخرج معهم، أو يركب سيارته الفاخرة، أو يذهب معهم إلى تلك الأماكن الراقية.

وكان والده كلما طلب منه أن يجلس معه قليلًا ليتكلم معه في شؤونه أو من أجل أن يلعبا الشطرنج مثلًا، أو أي أمرٍ من الأمور التي يمكن أن تجمع الأب مع ابنه، أشاح بيديه أو تجاهله أو أجاب قائلًا:

"عندما أعود، لأني مشغولٌ الآن!"

أو أي شيءٍ من هذا القبيل، ذلك لأنه كان يرى أن والده كبيرٌ في السِّن، ولن يستطيع أن يتماشى مع أفكاره العصرية أو يفهم تصرفاته التي تتماشى مع روح العصر، فوالده من الجيل القديم!

وحتى عندما كان ينصحه بعمل شيءٍ ما أو يأمره بأن يمتنع عن فعل شيءٍ خاطئ، كان هذا الشاب يشعر بالغضب الشديد ويتجاهل كل ما كان يقوله والده، أو يقوم بعمل عكس ما كان يأمره به.

حتى حدث أمرٌ هزَّ كيانه بقوة، ففي أحد الأيام بينما كان جالسًا مع أقرب صديقٍ له، إذ بهاتف صديقه يرِن، وعندما ردَّ هذا الأخير على الهاتف بدت على ملامحه آثار الصدمة وأجهش في البكاء، فقد تُوفي والده فجأةً، وكان هذا الصديق يتعامل مع والده بنفس الطريقة السيئة التي كان يتعامل بها هذا الشاب مع أبيه.

وفي ذلك الوقت بدأ هذا الشاب يتذكر والده ويتذكر الطريقة التي كان يعامله بها، ويتذكر كيف كان والده يطلب منه دائمًا أن يجلس معه وهو يرفض باستمرار، فشعر بالندم الشديد، وخاصةً بعدما سمع

حديث صديقه عن والده، وكيف أنه فوَّت كثيرًا من اللحظات التي كان يمكن أن يقضيها معه.

عندما عاد هذا الشاب من جنازة والد صديقه، ذهب مباشرةً صوب والده وقبَّل يديه واعتذر له عن تصرفاته السابقة، وقرر ألا يعود لمثل تلك التصرفات أبدًا لأن الحياة قصيرةٌ جدًّا، وربما يفقد والده في أي لحظةٍ فيندم حين لا ينفع الندم.

خاطب أبٌ ابنه يومًا قائلًا:

"حاذر أين تضع قدمك يا بني"،

فردَّ الابن قائلًا:

"بل احذر أنت يا أبي، فأنا أتبع خطواتك فقط!"

الأب يا أعزائي له في قلب أبنائه من المكانة والمقام ما ليس لغيره، مقامه شامخٌ ومنزلته كبيرة، فهو السّند والحب والاحتواء والحنان في الوقت نفسه، وهو الذي يبذل قصارى جهده دونما أي تقصيرٍ حتى ينعم أبناؤه بحياةٍ رغدةٍ وهنيئة.

الأب هو ذاك الصديق الذي تتشارك معه أسرارك وتلجأ إليه وقت الضّيق، هو ذاك الشخص الذي تمسك بيده وقت الشدة فلا يعرف الخوف إليك سبيلًا.

تجاعيد وجهه تحكي الكثير، فما بين تجعيدةٍ وأخرى ترتسم تفاصيل شخصيته بدقة، وتتهيأ لنا بعضٌ من تلك الذكريات التي خضناها معًا.

هو الذي يعلمنا معنى الحياة ويرشدنا ونحن نقطع دروبها، فنتعثر حينًا ونسقط أحيانًا أخرى، فيأخذ بأيدينا ويربت على أكتافنا فنواصل المسير.

"الأب نعمةٌ عظيمةٌ لا يعلم قدرها إلا من فقدها"

الأب هو ذاك الشخص الذي نُكن له كل الاحترام بل ونُنزله مكانةً لا ننزلها أحدًا غيره.

ولنا في خليل الله "إبراهيم" -عليه السَّلام- قدوةٌ حين خاطب أباه قائلًا:

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾

مريم، 44

فتلك الصيغة التي وردت في لفظ النداء إنما هي تعبيرٌ عن الكثير من التوقير والاحترام الذي يكِنه "إبراهيم" لأبيه وإن كان على ما هو عليه من الشرك والضلال، فعلى الرغم من ذلك لم ينتقص خليل الله من قدر أبيه ولم يخاطبه بكلماتٍ تدل على الازدراء أو التقليل منه.

وكذلك "إسماعيل" -عليه السَّلام- حين خاطب أباه قائلًا:

﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾

الصافات، 102

والشيء ذاته مع فتاة مدين حين استسقى لها "موسى" -عليه السَّلام- فاقترحت على أبيها أن يستأجره قائلةً:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

القصص، 26

هؤلاء لم يعبِّروا عن احترامهم لآبائهم ابتذالًا ورياءً أبدًا، بل زُرِع فيهم ذلك منذ صغرهم ونشؤوا عليه، وما بر الآباء والإحسان إليهم إلا دليلٌ على جودة الأصل والمعدن .

فإذا كانت الأوامر الربانيَّة تقتضي أن طاعة الوالدين والاعتناء بهما وحسن معاملتهما من قولٍ وفعلٍ حسنٍ مقترنٌ بطاعة الله عزَّ وجل، فالأولى هو التسابق والتنافس في ذلك لمن كانت له نهيةٌ يعقل بها!

فالوالدان هما بابان من أبواب الجنة التي تحلو وتطيب الحياة معهما، وتغدو مُرةً نكِدةً بذهابهما!

٤

كن عند الشَّدائد رجلا

أتذكر ذات مرةٍ وأنا في الثانية عشرة من عمري، إذ بي أستيقظ صباحًا من فراشي فأجد بيتنا ممتلئًا عن آخره بالناس، بحيث أكاد لا أجد ركنًا أو زاويةً ولا حتى موطئ قدمٍ فارغًا.

اتجهت مسرعًا إلى أمّي فوجدتها محمرة العينين ذابلة الوجه، وعلامات البكاء والإرهاق باديةٌ على ملامح وجهها، قبّلت رأسها كما هي عادتي كل صباح، لم تنطق أمّي بكلمةٍ واحدةٍ، تبعتني وأنا متّجهٌ إلى غرفة والدي لأتفقد حاله.

كان والدي مريضًا تلك الأيام، وكان مرضه قد اشتدّ عليه في تلك الآونة الأخيرة، فتحت باب الغرفة ففُجعت من هول ما رأيت، وجدت أبي ملقًى على فراشه مغمض العينين، لا تبدو عليه أدنى مظاهر أو أشكال الحياة.

توجهت إليه مسرع الخطى، حاولت إيقاظه فلم يستجب لي، حاولت ثم حاولت جاهدًا وظللت أحاول حتى نال مني اليأس لكنه لم يستجب، كانت أمّي ومن معنا من أفراد عائلتي يحاولون تهدئتي لكن دون جدوى.

بدأت أصرخ والدموع تهطل من عينيَّ دونما توقف:

"أبي استيقظ...استيقظ يا أبي...استيقظ رجاءً...!"

"رجاءً استيقظ يا أبي...!"

توالت الصرخات الواحدة تلو الأخرى وأنا عاجزٌ عن التحكم في نفسي والتهدئة من روعي.

لمست يده فوجدتها شديدة البرودة، حاولت تحريك ذراعه فوجدتها ثقيلةً على غير العادة، كانت غير قابلةٍ للثني، أثار انتباهي شريطٌ من القماش الأبيض يلُف رأسه بحيث بدا لي أنه يمنع فاهُ من أن يظل مفتوحًا.

فأيقنت في هذه اللحظة شيئًا واحدًا ووحيدًا:

"ملك الموت زار بيتنا!"

"ملك الموت زار بيتنا!"

زارنا ملك الموت في بيتنا وأخذ معه واحدةً من أعزِّ الأرواح إلى قلبي إن لم تكن أعزها على الإطلاق، غادر أبي دار الفناء إلى دار البقاء دونما وداع.

لا أتذكر آخر حديثٍ خضته معه، ولا أتذكر آخر إبريق شايٍ احتسيناه معًا، بل ولا أتذكر حتى آخر كلمةٍ قالها لي.

غادرني ذاك الحصن المنيع الذي كنت ألجأ إليه وقت الشدة دونما سابق إنذار، أحسست بنفسي تائهًا وسط عالمٍ مظلمٍ أكاد لا أميز فيه يميني عن يساري، ولا أتحسّس فيه بصيصًا من النّور في الأفق علَّه يكون سبيلًا للنجاة مما حل بي.

استعدت وعيي على صوت أمّي وهي تقول لي:

"يا بني اصبر، اصبر..."،

"فإن موعدنا معه الجنة إن شاء الله".

أدركت في تلك اللحظة أنه لم يكن كابوسًا أمر به، بل حقيقةً وجب عليَّ تقبُّلها، حقيقةٌ مفادها أنني لم أعد منذ تلك اللحظة تحت كنف ورعاية ذلك الرجل الذي أتيت من صلبه، ذلك الرجل الذي كان لي بمثابة الفارس المغوار الذي يدافع عني في كل صغيرةٍ وكبيرة، وبمثابة الجندي الذي يستميت في سبيل وطنه ويُلبي نداءه كلما احتاج إليه.

أدركت حينها أنه لا مفرّ من تقبُّل الحقيقة وإن كان وقعها صعبًا على نفسي:

"إنا لله وإنا إليه راجعون".

"رحمك الله أبي وأدخلك فسيح جناته"

دعِ الأيَّام تَفْعَل مَا تَشاءُ

وطِب نفسًا إذا حكمَ القضاءُ

وَلا تَجْزَعْ لنازِلة الليالي

فما لحوادثِ الدُّنيا بقاءُ

وكنْ رجلًا على الأهوالِ جلدًا

وشيمتكَ السماحة والوفاءُ

الإمام الشافعي

ليس من الغريب أن نمرَّ بعقباتٍ ونازلاتٍ يضيق بها صدرنا ويتكدر بها صفو عيشنا على وجه هذه الخليقة.

فلكل بدايةٍ نهاية، فلا شيء ينزل مقام الأبدية والخلود من المخلوقات في هذه الحياة.
وكما يُقال: "دوام الحال من المحال".

فكما أن لليل نهارًا يقابله ويليه، فللحزن فرحٌ يعقبه كذلك، والعكس صحيح.

من هنا وجب على كل فردٍ منا استيعاب هذه السنة الكونية التي فُطِرنا عليها، ففي خِضمِّ أوقات اليسر والرخاء قد ينقلب كل شيءٍ في طرفة عينٍ إلى ما هو عكس ذلك!

صحيحٌ أن المرء لابد له من التفاؤل بالخير حتى يجده، لكن في الوقت نفسه وجب عليه أن يقتنع تمام الاقتناع أنه لا شيء دائمٌ دون قابليةٍ للتغير أو التقلب في هذه الحياة، فهو لا يدري متى أو أين قد يحلُّ عليه بلاءٌ أو تنزل به مصيبة!

لكن ما يميز هؤلاء الذين يستطيعون اجتياز ما يحلُّ بهم من مشاكل مستعصيةٍ أو عقباتٍ عن أولئك الذين لا يستطيعون لملمة شتاتهم هو تمسكهم بملكة الصبر، ومعرفتهم اليقينيّة بأن ما لذّ وطاب من النِّعم التي يتمتعون بها ليست بالشيء السَّرمدي، بل هي مؤقتةٌ قد تزول وتختفي في أي وقتٍ دون سابق إنذار.

ولو كانت غير ذلك لما سميت الدنيا بدار ابتلاءٍ أبدًا، بل لكانت جنّةً ينعم فيها الكلُّ ويحظون فيها بحياة الرخاء والبذخ.

فهذا الميزان الكونيُّ الذي يقتضي تواجد المتناقضات واستمراريتها داخل المجتمعات لم يوجد أبدًا عن عبثٍ.

فالحياة يقابلها الموت،

والفرح يقابله الحزن،

والدواء يقابله الداء،

والغنى يقابله الفقر...

هذا الميزان ذاته هو الذي يُحتِّم على كافة الأفراد مسايرة وقائعهم وكل ما يطرأ على حياتهم من متغيراتٍ بطريقةٍ سلسةٍ رغم العناء الذي يكابدونه ورغم المشقّات التي يمرون منها.

فدوام الضرّاء من المحال، وكذلك الأمر عندما يتعلق بالسرّاء!

كن رجلًا صَلدًا عند الشَّدائد يا صديقي،

تحَلَّ بالصبر وامضِ في حال سبيلك،

قد تنكسر حينًا ولا تجد من يجبر خاطرك!

وقد تسقط حينًا ولا تجد من يمدُّ لك يد العون!

وقد تفقد الأمل أحيانًا أخرى ولا تجد من يُهديك ولو بصيصًا منه!

لكن كن على يقينٍ أنه من عِزِّ الكبد والشّقاء،

يولد الفرج والرخاء،

ومن وسط الظلام الدامس،

يولد ذاك البصيص الخافت من النور،

ومن رحِم الضعف والمعاناة،

تولد القوة والعظمة،

املأ قلبك واجعله يفيض إيمانًا بذلك،

وتذكر دائمًا:

"الذي أخرج يونُس من بطن الحوت وأغاث يوسُف في غياهب الجبِّ قادرٌ على أن يُغيِّر حالك ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها".

٥

توكلوا ولا تتواكلوا

يُروى أن رجلًا أتى النبي -عليه الصَّلاة والسَّلام- ومعه ناقته فقال:

"أعقلها وأتوكل أم أتركها وأتوكل؟"

فردَّ عليه نبينا -عليه الصَّلاة والسَّلام-:

"اعقلها وتوكل على الله".

فيما سبق دليلٌ واضحٌ ورسالة صريحةٌ من رسولنا عليه الصَّلاة والسَّلام للأخذ دائمًا بالأسباب الميسّرة والمشروعة في الوقت نفسه عند التخطيط للقيام بعملٍ ما، ثم بعد ذلك يأتي دور التوكل على الله عزَّ وجل.

فلا يمكن للمرء العمل بالأسباب دون التوكل على الله، كما لا يمكن له أيضًا التوكل على الله عزَّ وجل والبقاء مكتوف الأيدي دون القيام بالمسبِّبات التي توجِب له التوفيق والنجاح في عمله.

فبداية النجاح تتطلب الكثير من البذل والجهد، بالإضافة إلى التخطيط اللازم والكافي، ثم يأتي بعد ذلك دور تحين الفرصة المناسبة للشروع في التطبيق.

فمن أراد المضي في تسلُّق الجبال فلابد له من أن يتعثر تارةً، ويسقط تارةً أخرى، لكن لابد له من الوصول إلى القمة في يومٍ من الأيام إذا ما واصل المحاولة ولم يستسلم لليأس والإحباط.

"خذ بالأسباب وكأنها كل شيء،

وتوكَّل على الله وكأنَّ الأسباب لا شيء"

محمد راتب النابلسي

هذه العلاقة التَّكاملية بين التوكل على الله والقيام بالأسباب، لا تقتصر فقط على مجالاتٍ معينةٍ في هذه الحياة، بل تشمل جميع مجالاتها.

فطالب العلم لابد له من سهر الليالي الطِّوال إن أراد تحصيل أعلى الدرجات العلمية.
والباحث عن العمل لا بدل عنده من خوض غمار مباريات التوظيف للحصول على وظيفة.
وكذلك الحال بالنسبة لقائم الليل فلا بديل عنده من تحين الثلث الأخير من الليل لينال الكثير من الأجر.

هكذا هي الحياة، فنسبة مردودك ونجاحك رهينةٌ بما تقوم به من أسبابٍ وجهودٍ في سبيل الوصول إلى مبتغاك، ورهينةٌ أيضاً بقدر توكلك على الله عزَّ وجل، لا بقدر تواكلك عليه.

فلو توكلنا على الله كما ينبغي علينا فعله، لرزقنا كما يرزق تلك الطيور التي تغدو خماصًا في أول النهار تبحث عن رزقها، وتروح بطانًا في آخره إلى أعشاشها!

فها هي أمُّ "موسى" -عليه السَّلام- تضع ابنها في تابوتٍ وتلقيه في اليمِّ وهي تجهل تمامًا وجهة ولدها ومُستقرَّه.

"لكن ما الذي دفعها لذلك؟"

هي من دون شكٍّ تلك الثقة بالله عزَّ وجل التي سكنت قلبها وجعلتها تتوكل عليه وتوكل له فلذة كبدها وتستأمنه عليه، وهي موقنةٌ تمام اليقين أنه لا خوف على أمانتها مادام المستأمَن هو الله.

وها هو "يعقوب" -عليه السَّلام- بعد سنين من الحزن على ولده "يوسف" -عليه السَّلام-، حتى بلغ به الأمر أن ابيضَّت عيناه وفقد بصره وهو متوكِّلٌ واثقٌ بربه لا ينتابه شكٌّ في ذلك، فلم يخِب ظنه بربه فلاقاه بابنه وهو وزيرٌ من علية القوم بعد أن فارقه وهو طفلٌ صغير.

وها هو "إبراهيم" -عليه السَّلام- إذ يُلقي به قومه في نارٍ تصل عنان السماء، وهو يفيض إيمانًا لم يدفعه فقط لتفويض أمره إلى ربه، بل جعله يأتمن حياته ويودعها في حماه، فما كان لله عزَّ وجل إلا أن

غير القوانين الكونية فجعل النار التي تحرق الأخضر واليابس بردًا وسلامًا عليه.

هذه الثقة التي إذا ما لبثت أن عشَّشت في قلب امرئٍ جعلته من دون شكٍّ يتوكل في أموره الصغيرة منها والكبيرة على ربه، فيغدو مطمئن البال، مرتاح النفس، وكأنما قد خلا ذهنه مما كان يؤرِّقه ويشغل باله ويضني عيشه.

فالمتوكل على الله ليس كغيره من الناس، فهو دائمًا في عناية ومشورة ربه، وأموره كلها يُسرٌ وإن كان من بعد عُسر.

توكَّل على الله يا صديقي،

ولا تظنَّن به إلا ظنًّا حسنًا،

قف على بابه واطرقها،

ولا تملَّ أو تقنط أبدًا وأنت واقفٌ عندها!

فربك يحب العبد الملح الصبور،

ولا تحسبنَّ أن ما تطلبه كثير!

فربك بيده خزائنٌ لا تنفد،

فلو علمت ما يُعدُّه ربك لك مما يُسعد قلبك ويزيح عنك الغمة،

لأكثرت من البكاء فرحًا!

فمن أشد رحمةً على الابن من أمه غيره هو!

نحن نخطئ ونتوب ثم نعود،

وهو يتوب علينا كل مرةٍ ويتوب،

وكأن شيئًا لم يكن!

اعمل بالمسبِّبات ثم توكَّل عليه،

فما خاب من توكَّل ولم يتواكل!

٦

كن حييًّا ولا تكن خجولا

أتذكر ذات مرةٍ عندما كنا صغارًا، ونحن نلعب في زقاق حيِّنا، إذ بالكرة ترتطم بإحدى أبواب جيراننا حتى انسمع لصوت الارتطام دويٌّ، فإذ برجلٍ يطلُّ علينا من نافذة المنزل ناهرًا إيّانا:

"ألا تستحون!"

أتذكر جيدًا ذلك الاحمرار الذي علا وجوهنا وكأننا خرجنا للتو من فرنٍ شديدِ الاشتعال!

وكيف بدأ أحدنا يرمق الآخر بتلك النظرات التي تخفي وراءها تعجبًا جراء صدمة وهول ما نزل بنا.

وأتذكر أيضًا كيف أننا لم نجد للسؤال جوابًا، فما كان لنا إلا أن أخذنا كرتنا وهبَّ كلٌّ منا إلى بيته جريًا دون النظر إلى الخلف حتى.

ما يزال وقع تلك الكلمة عليَّ حاضرًا في ذهني إلى يومنا هذا، بل وما يزال في جعبتي عدة تساؤلاتٍ لم أجد لها أجوبةً تشفي غليلي لحد الآن.

"ألا تستحون!"

هذه العبارة التي جعلتني أنا ومن معي نفرّ ركضًا إلى منازلنا دون أن ننبس ببنت شفةٍ لندافع عن أنفسنا، أو على الأقل لنبرر ما حدث عسى أن نخفف من حدة الموقف.

هذه الكلمة نفسها هي التي اعتدنا سماعها صغارًا في بيوتنا، وفي المدارس والبقالات وغيرها من الأماكن، دون أن نعيرها قدرًا كافيًا من الانتباه يدفعنا للتدقيق في معناها بصفةٍ تجعلنا قادرين على استيعاب جوهرها والمراد منها.

"ألا تستحون!"

ذات مرةٍ وجد سيدنا "موسى" -عليه السَّلام- فتاتين تريدان السقي لأغنامهما، لكنهما كانتا تمنعانهم من ورود الماء، ولا يلتفت إليهما أحدٌ من الرجال ممن كان يسقي الماء لبهيمته حينها، فتعجب سيدنا "موسى" -عليه السَّلام- مما رأى، كون المروءة والفطرة السليمة توجب أن يفسح الحاضرون من الرجال المجال للفتاتين لتسقيا غنمهما أولًا!

فلم يهدأ لكليم الله -عليه السَّلام- بالٌ إلا بعد أن سألهما عن أمرهما فأطلعتاه على السبب، إنه وبكل بساطةٍ الحياء من مزاحمة الرجال.

فما كان لسيدنا "موسى" إلا أن تكفّل بسقاية أغنامهما.

ثم ماذا بعد ذلك؟

عادت إليه إحدى الفتاتين تمشي على استحياءٍ في غير ما تبذّلٍ ولا تبرجٍ، وتأمّلوا معي دقة وصف القرآن لما هي عليه هذه الفتاة:

﴿فَجاءَته إِحداهُما تمشي علَى اسْتِحياء﴾

القصص، 25

وكأنَّ القرآن يحاول أن يخبرنا أن خلُق الحياء قد تمكن وتغلب على طباع وسمات هذه الفتاة، وكما تمكن كذلك من سيدنا "موسى" -عليه السَّلام- حين قال لها:

"امشي خلفي، فإن أخطأت الطريق فأشيري إليه بحجرٍ تلقينه فيه حتى أصحح مساري".

وما ذلك إلا استحياءً من سيدنا "موسى" من أن يمشي خلفها فيخاف أن تقع عينه على عورتها دون قصد.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

"إن لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء"

رواه ابن ماجه

هذا الحياء الذي جعله رسولنا -عليه الصَّلاة والسَّلام- خلُقًا مقترنًا بالإسلام هو نفس الحياء الذي غمر فتاتي مدين فمنعهما من مزاحمة الرجال.

وهو نفس الحياء الذي وصف به القرآن مشية إحداهما وقدَّمها على أنها خِصلةٌ ميّزتها وغلبت على طباعها.

وهو ذات الحياء الذي منع "موسى" -عليه السَّلام- من المشي خلف فتاةٍ مخافة أن تقع عينه على عورتها.

وأخيرًا، هو نفسه ذاك الحياء الذي دفعني أنا ومن كان معي من الأصدقاء يومها إلى أن نفِرَّ ركضًا من هول وحماقة ما ارتكبناه.

فالحياء خلقٌ سامٍ وعظيمٌ يرفع من قدر المرء ويُعلي شأنه لدى الآخرين، ويهذِّب النَّفس ويُلزِمها حدَّها، ويمنعها من ارتكاب كل ما هو قبيحٌ ويردعها عن الاعتداء على كل ذي حق.

أما عن الخجل فلا أجد وصفًا دقيقًا له إلا كونه منبوذًا، فالخجل عبارةٌ عن عواطف أو مشاعر جيّاشةٍ تسيطر على الشخص وتدفعه للظنِّ أنه ممتلئٌ بالعيوب، وأنه منبوذٌ ممّن حوله، أي من أفراد عائلته وأصدقائه خاصةً، ومن معارفه وباقي أفراد المجتمع عامةً.

فالإنسان الخجول بطبعه غير قادرٍ على تطوير شخصيته كونه لا يستطيع التقارب مع الآخرين والتأقلم معهم بكل بساطة.

فهو يولّد عند صاحبه شعورًا بأنه غير قادر على النجاح، وأن الفشل هو مصير كل إنجازٍ يحاول تحقيقه، فالخجل يهم الجانب النفسي بالدرجة الأولى.

ومن أبرز أسباب تكونه لدى الفرد هي نوعية البيئة والمحيط الذي نشأ وتربى فيه، فالطفل الذي ينشأ وسط مجموعةٍ من أقرانه يكون أقل عرضةً للوقوع ضحية الخجل مستقبلًا، عكس الطفل الذي تكون نشأته منعزلةً عمّن حوله، بحيث يكون احتمال معاناته من الخجل في قادم حياته جدٌّ مرتفع، ويمكن أن يتطور إلى ما يدعى

بالرهاب الاجتماعي، والذي هو حالةٌ تعتري خلالها الشخص رغبةٌ جامحةٌ في الانعزال التام عن محيطه أو مجتمعه نتيجة عدم القدرة على الاندماج.

ومن أبرز الطرق الفعالة لتفادي وقوع الطفل في دائرة الخجل هي تشجيعه منذ صغره على الاندماج والتواصل مع الآخرين، ومحاولة بناء علاقاتٍ معهم، بالإضافة إلى محاولة منحه الثقة في اتخاذ القرارات وعدم إجباره على فعل شيءٍ هو لا يريده أو لا يقتنع به.

وكنصيحةٍ للآباء والأمّهات:

"ربُّوا أبناءكم على الحياء وجنِّبوهم الخجل،

فالحياء محمودٌ، عكس الخجل الذي هو منبوذ".

٧

لا تحكم على الناس من مظاهرهم

مازِلت أتذكر وجه تلك السيدة التي كانت تبيع المناديل الورقية في محطة القطار، التقت بي وأنا نازلٌ من سيارة الأجرة، طلبت مني شراء بعضٍ من تلك المناديل التي تحملها بكلتا يديها.

في بادئ الأمر، ولأنّي كنت مسرعًا خشية أن يفوتني القطار الذي سيأخذني إلى وجهتي، أعطيتها ما كان معي من البقشيش الذي تبقى لي وأكملت طريقي مسرعًا، فإذا بي أسمع نداءً خافتًا من ورائي:

"تعال يا بني"،

"يا بني، تريث قليلًا...!"

استدرت فوجدت تلك السيدة تمشي مسرعة الخطى نحوي، أقدمت وكلّي فضولٌ لمعرفة السبب الذي جعلها تناديني.
خاطبتني بلهجةٍ منكسرةٍ تخبرك أن مشقات وضغوط الحياة قد نالت قسطًا وافرًا من صحتها:

"يا بني، إني لا آخذ مالًا إلا بعرق جبيني، فهاك خذ ما أعطيتني مالًا مناديلًا!"

اعتلت وجهي ابتسامةٌ عريضةٌ ثم سارعت بأخذ بعضٍ من تلك المناديل وشكرتها ثم أكملت طريقي.

أدخلني تصرف تلك السيدة في حيرةٍ واندهاشٍ طوال رحلتي، ظللت طوال الطريق أردِّد في نفسي:

"ما الذي دفع تلك السيدة لفعل ذلك يا ترى؟"

"أما كان من الأفضل لها أن تجني بعضًا من المال من دون مقابل؟"

ظللت أفكر مدةً من الزمن ثم تذكَّرت قوله عزَّ وجل:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾

البقرة، 273

فأدركت أن دافعها كان ما بداخلها من كرامةٍ وأنفةٍ وعزة نفس، فمثل هؤلاء الناس لا يعرفون سبيلًا لكسب قوت يومهم إلا عن طريق عرق جبينهم، وما تجني أيديهم من دراهم ودنانير حلالًا، بعيدًا كل البعد عن كل ما هو حرامٌ تشمئزُّ نفوسهم منه.

فالنفوس الطيبة لا ترضى إلا بما هو طيب، كالشجرة التي تُسقى بالماء الطيب النقي، فتُزهر وتُثمر ولا يكون عطاؤها إلا طيبًا، عكس الشجرة التي يكون سقاؤها خبيثًا فلا تؤتي إلا خبيثًا.

غمرني الفرح كثيرًا لأني التقيت بهذه السيدة وأخذت منها درسًا في الحياة، مع العلم أن ما كان في نيتي هو أخذ المناديل مقابل المال إلا أني كنت على عجلةٍ من أمري.

كان "أينشتاين" لا يستغني أبدًا عن نظارته،

وذهب ذات مرةٍ إلى أحد المطاعم،

فاكتشف هناك أن نظارته ليست بحوزته!

فلما أتاه النادل بقائمة الطعام ليقرأها ويختار منها ما يريد،

طلب منه "أينشتاين" أن يقرأها له، فاعتذر النادل قائلًا:

"إنني آسفٌ يا سيدي، فأنا أميٌّ جاهلٌ مثلك!"

قيل إن رجلًا جاء إلى "سقراط" يتبختر في مشيته ويتباهى بجمال هيبته وأناقة مظهره، فقال له "سقراط":

"تكلَّم حتى أراك!"

"لا تحكم على الكتاب من غلافه"

لا يخفى عليكم أننا نعيش في عالمٍ يحكم على الناس من خلال مظاهرهم الخارجية، بل ويعتبرها الفيصل في طريقة التعامل معهم.

فذاك الذي يرتدي ملابس فاخرةً تواكب آخر صيحات الموضة ويضع أغلى الساعات والنظارات، لا يُعد كغيره ممن يرتدي ملابس رثّةً وقديمة.
وذاك الذي يسوق سيارةً فخمةً ليس كغيره ممن يركب سيارةً قديمة الطراز تكاد لا تبرح مكانها.
وذاك الذي يعمل كمديرٍ أو موظفٍ في شركةٍ ما، لا يُقابَل بنفس النظرة التي يُقابَل بها غيره ممن يعمل في مهن متواضعة.

هذه الحيثيات بمجملها جعلت مجتمعاتنا لا تأخذ بعين الاعتبار إلا المظاهر الخارجية للأفراد، فأصبح الفرد يعير هذا المظهر أكثر مما ينبغي له، فيُجحف نفسه ويبذل ما لا يقدر عليه من أجل إرضاء نظرة المجتمع تجاهه.

فقيمة الفرد عند البعض تنحصر فيما يرتدي من ملابس ويضع من ساعاتٍ وأكسسواراتٍ، وفيما يمتلك من عقاراتٍ وسياراتٍ وغيرها.

فتجد غالبيتنا يتكلف عناء شراء أغلى السيارات والملابس وإن كان لزامًا عليه اقتراض المال من أجل ذلك، في حين تجد أنه من باب أولى أن يستثمر ذلك المال فيما سيجني به قوت يومه ويُعيل به نفسه وأفراد عائلته مستقبلًا.

فما نستطيع أن نراه بواسطة أعيننا المجردة عن الآخرين هو مظهرهم الخارجي المكشوف للعيان فقط، لكننا لا نستطيع التعمق بداخلهم، ذلك أن جوهر المرء ونواياه لا يعلم بها إلا الله عزَّ وجل.

ولوكان باستطاعتنا فعل ذلك لهانت معرفة ما يُضمره الآخرون ولباءت معظم العلاقات بالفشل قبل بدايتها.

فذاك الذي يعطي أحكامًا مسبقةً عن الآخرين اعتمادًا فقط على ما يراه ويسمعه عنهم من أقاويل لا يدري صحتها من عدمها، تجده

يجهل تمام الجهل ما يُكنُّه هؤلاء في سريرتهم وما يضمرونه في أنفسهم.

فكم من شخصٍ قوبل بازدراءٍ وسوء معاملةٍ بسبب ما يرتديه من ملابس باليةٍ، لكن في الحقيقة تجده من أحسن الناس أخلاقًا وأدبًا وتعاملًا مع الناس!

بينما في الجهة الأخرى، تجد من الناس مَن مظهره يجذب العيون وينمُّ عن الغنى، ومَن لباقة لسانه تدل على رقي أفكاره، لكن تجده في نفس الوقت عنوانًا للخبث والجرم والاحتيال!

بل وصار الأمر لا يقتصر على ذلك فقط، فأصبح أول ما يُسأل عنه الزوج المستقبلي هو مقدار ما يمتلكه في حسابه البنكي، وكم من المال يتقاضى شهريًّا، وكم في ملكيته من منازل وسياراتٍ تشفع له بنيل ما يريده.

فأصبح الحكم على الآخرين من خلال "أغلفتهم" إن صحَّ التعبير، نظامًا مُهيمنًا، وأصبح من يخالف ذلك ويعتمد على الفطرة السليمة هو المخطئ الذي خالف الصواب.

لا يختلف عاقلان على أن الوجاهة وحسن المظهر ولباقة اللسان تشرح للناس قلوبهم تجاه الآخرين، لكن الواقع ليس دائمًا كما يبدو عليه، فكم من محتالٍ يتخفى وراء تلك المحاسن ويتقنص اللحظة المناسبة للانقضاض على ضحيته، وكم من صديقٍ مقربٍ يُسمعك حلو الكلام والمعسول منه، لكنه يخفي في قلبه من الحقد والضغينة ما لا يعلمه إلا الله.

وكم من شخصٍ قليل الكلام ونادر التبسم وكثير الانعزال، قد يحكم عليه الناس بالعجرفة والغرور، في حين تجده من أحسن الناس مبادئًا وأخلاقًا، بل وقد تجده مثالًا يُحتذى به في ذلك عند أقرانه.

فالحكم المسبق والمجرد على الآخرين والذي يقتصر فقط على مظاهرهم الخارجية دون التطرق إلى جوهرهم الداخلي وما يكتنزونه من أفكارٍ ومعارف هو ضربٌ من ضروب الظلم في حقِّهم، ولا يدلُّ إلا

على جهل مرتكبه وقصور نظره على الظاهر من الأمور دون الإلمام بجوهرها وما خفي وراءها.

٨

كن طموحا

يُحكى أن طفلًا كان يعاني في صغره من تأخرٍ في النطق، كما صاحبه كذلك عسرٌ في القراءة.

هذا الطفل نفسه لم يسلم من ضعفٍ في ملكة الحفظ لديه، فقد كان معروفًا بين أقرانه بشدة نسيانه، حتى بلغ الأمر في إحدى المرات أن كتب أحد أساتذته في سجله الدراسي:

"تلميذٌ لا يصلح لشيء!"

فقد كان هذا الطفل متّسمًا في مدرسته بالاستيعاب البطيء، وشرود الذهن والانعزال، والمشاكسة وعدم قبول النظام الداخلي للمؤسسة، إضافةً إلى الغياب المتكرِّر وغير المبرَّر.

عندما بلغ هذا الطفل سن السادسة عشرة، تقدَّم للتسجيل في إحدى أعرق الجامعات بمدينة زيورخ السويسرية، فرسب في جميع الاختبارات لهذه الجامعة.

تقدم بعد سنواتٍ من تمكنه من ولوج الدراسات الجامعية للحصول على شهادة الدكتوراه، فقوبل بالرفض خمس مراتٍ حتى

تمكَّن من نيلها في المرة السادسة بشقِّ الأنفس.

تمكَّن هذا الطالب نفسه بعد حصوله على شهادة الدكتوراه من أن يصبح أستاذًا جامعيًّا ودرَّس في عدة جامعاتٍ من ضمنها جامعة زيورخ، نفسها تلك الجامعة التي رفضته في بداياته.
ثم تمكن بعدها من نيل عدة مناصب من أبرزها مدير المعهد الفيزيائي ببرلين.

لم يقف الأمر هنا فقط، بل استطاع بعدها نيل جائزة نوبل للفيزياء سنة 1921م، كما أسس نظرية النسبية والتي تُعدُّ واحدةً من إحدى أعظم النظريات التي عرفها علم الفيزياء.

كان وما يزال يُعد أيقونةً ورمزًا للذكاء والعبقرية الفذَّة، يُضرَب به المثل في النبوغ في جميع المجالات.

إنه من دون شكٍّ الفيزيائي والرياضي الشهير "ألبرت أينشتاين".

"الآمال العظيمة تصنع الأشخاص العظماء"

توماس أديسون

أولئك الذين نسمع عن حياتهم الحافلة بالإنجازات التي لم يسبقها إليهم أحد، لم تكن طريقهم مفروشةً بالورود كما كنا نظن، بل على العكس من ذلك، كان دربهم شائكًا غير مُمهَّدٍ يعجُّ بالعقبات والعراقيل.

لكن ما الذي ميَّزهم عن غيرهم ممن فشلوا في الوصول إلى ما أرادوا إليه؟

وما الملكة التي حازوا عليها حتى شفعت لهم بالتميز عن الآخرين ممن استسلموا يا ترى؟

إنه الطموح من دون شك!

ذلك الطموح الذي يدفعهم للاستيقاظ باكرًا كل صباح للذهاب إلى المدرسة وترك أسرتهم الدافئة.

ذلك الطموح الذي يجعلهم يقضون الليالي ساهرين بقلمٍ في أيديهم وكتابٍ نُصب أعينهم وشمعةٍ أو مصباحٍ ينير غرفهم.

ذلك الطموح الذي يدفعهم إلى تحصيل أعلى الدرجات في الامتحانات بغية ولوج أرقى الجامعات.

ذلك الطموح الذي يجعلهم كذلك متعطشين لتحقيق المزيد من المكتسبات والإنجازات.

حاول وإن قوبلت بالإخفاق، فأعد المحاولة وإياك واليأس!
حاول ثم حاول، ثم أعد المحاولة، وحاول مجددًا إلى أن تحقق هدفك.

فالفشل هو بداية النهاية، وانظر للأمور من زاويةٍ مغايرةٍ عن الآخرين، فلا تعتبر محاولتك التي باءت بالفشل إخفاقًا، بل اعتبرها فقط طريقًا لا يمكنها أن تقودك إلى مبتغاك!

عندما سُئل "توماس أديسون" عن فشله عدة مراتٍ خلال محاولته اختراع المصباح، ردَّ قائلًا:

"أنا لم أفشل، بل وجدت عشرات الطرق التي لا يمكن للمصباح العمل بها!"

لا تقل فشلت، بل أنت فقط لم تنجح!

هنا يكمن السر الذي يصنع الفارق بين أولئك الذين رفعوا الراية البيضاء وبين أولئك الذين لا يعرف قاموسهم معنًى للاستسلام.

هؤلاء الذين نالوا أعلى المراتب والمقامات، بل وحازوا على أعرق الجوائز تقديرًا واعترافًا لما بذلوه من جهودٍ وما وصلوا إليه من إنجازاتٍ واستحقاقات، هؤلاء لم يعلموا يومًا أنهم سينالون ما في مناهم وأن جهودهم ستعطي ثمارها، هم كانوا فقط يحاولون، يحاولون رغم ما يواجِههم من عقباتٍ ومشاكل تبطئ تقدمهم حينًا وتجعلهم يتعثرون أحيانًا أخرى.

لكنّ أهم ما ميَّزهم عن غيرهم هو أنهم لم يؤمنوا يومًا بأنهم فشلوا، لأنهم حقًّا لم يفشلوا، هم فقط قاموا بمحاولةٍ لكنها لم تنجح!

على قدرِ أهلِ العزمِ تَأتي العزائِمُ

وتأتي على قَدرِ الكِرامِ المكارِمُ

وتَعظُم في عَينِ الصغيرِ صِغارُها

وتصغُرُ في عَينِ العظيمِ العظائِمُ

أبو الطيب المتنبي

كن قنوعًا، لكن في الوقت نفسه كن طموحًا!

فالقناعة ليست هي ذلك المفهوم المجرد الذي يتبناه غالبية الناس والذي يقتصر على الرضا بالرزق الحاضر والزهد في الغائب منه، دون القيام بأدنى مجهودٍ بغية نيل ما يطمح إليه المرء في حياته من إنجازاتٍ وغيرها، بل على العكس من ذلك كله.

لابد للقناعة من أن يرافقها طموحٌ يتمثل في بذل الأسباب والاجتهاد للبحث عمّا هو مفقودٌ مع الرضا عمّا هو موجود، فعلى المرء أن يسعى للخير جهده، لكن تحقيق مراده ليس بالضرورة عليه.

فإذا كانت القناعة صمّام أمانٍ للإنسان في طريق ارتقائه سلم المجد والمعالي، فالطموح هو المحرك الأساسي له، ودونه لن يستطيع أن يبرح مكانه أو أن يمضي للأمام.

فالإنسان المتَّزن هو الذي يعرف كيف يجمع بين القناعة والطموح، ويعرف كيف يكون قنوعًا وطموحًا في الوقت نفسه، أما إذا كان غير ذلك، فمما لا شكَّ فيه أن حياته ستتحول إلى جحيم ونكدٍ لأنه لا يدري بكيفية الأخذ بالأسباب التي توصله إلى طريق النجاح،

وسيصبح بذلك إنسانًا يحيطه الخور والكسل من جميع جوانبه، فيصير بذلك جشعًا وغير راضٍ وغير قنوعٍ بما عنده، وقد يصل به الأمر إلى ابتزاز الآخرين للحصول على ما عندهم أو استعمال غير ذلك من الأساليب اللّامشروعة.

"انظر لمن دونك لترضى، وانظر لمن فوقك لتسعى"

أحمد الشقيري

٩

اقرأ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾

العلق، 1

"اقرأ!"

لم يكن نزول هذه الكلمة التي افتُتح بها القرآن عند بداية تنزله عبثًا، ولم يكن نزول أمين الوحي "جبريل" -عليه السَّلام- على رسولنا عليه الصَّلاة والسَّلام بهذا الأمر والتكليف دونما أن يكون هناك قصدٌ أو عدة مقاصد من وراء ذلك.

ف "اقرأ" هي أول كلمةٍ نزلت من الوحي الكريم، وأول آيةٍ، وأول أمرٍ، وأول تكليفٍ قبلما أي تكليف.

وكأن القرآن يريد من وراء ذلك أن يُرسِّخ فينا الأساس المتين لدستور الحياة، والمفتاح القويم لجميع معضلاتها، وذلك من خلال أول آيةٍ نزلت من الرسالة الخاتمة، وفي أول سورةٍ نزلت منها "سورة العلق".

هذه السُّورة المكيَّة التي كانت بالنسبة لمعظمنا أول سورةٍ نحفظها، سواءٌ في المدارس أو في الكتاتيب التي اعتدنا الذهاب إليها ونحن صغار، أو حتى في بيوتنا مع والدينا وأفراد عائلتنا.

هذه السُّورة التي لطالما فاحت آياتها بعبقٍ يُنعِش الحواس، فيجعل النفس تواقةً ومتلهفةً للقراءة والمطالعة واغتراف المزيد من بحار المعرفة والعلوم.

فما بين كلمةٍ وأخرى، تجد ذاك النسيم الذي يغذّي الرّوح ويسقي الفؤاد، وما بين آيةٍ وأخرى يلفت بصرك ذاك البصيص الخافت من النّور الذي ينجي النفس من غياهب الجهل، ويدفعها للقراءة والاغتناء بكنوز العلم والمعرفة.

"وفي ذلك فليتنافس المتنافسون!"

أتذكر ونحن صغارٌ في المدرسة، عندما كانت تطلب منا معلمتنا قراءة نصٍّ على مسمعٍ من القسم، فكنا نتهافت ونتسابق لرفع أيدينا عسى أن يكون كلٌّ منا هو المختار، فهذا يكتفي برفع أصبعه فقط، وذاك يتجاوز ذلك إلى ندائه:

"أستاذة... أستاذة!"

والآخر يفوق ذلك كله إلى حدِّ القيام من مكانه ليلفت نظر معلمته، ثم يبدأ أحدنا بالقراءة، فيتلعثم تارةً، ويخطئ نطق الكلمة تارةً أخرى، فنصحح له خطأه دون الحاجة لتدخل المعلمة.

كنا نعتبر تلك المنزلة التي ينالها التلميذ بقراءته خلال الحصة شرفًا يعلو به عن باقي أقرانه الذين لم يحالفهم الحظ في نيل نفس الفرصة، فتجدنا نتباهى ونفاخِر بعد انتهائنا ونسأل عن يميننا وعن شمالنا:

"كيف أبليت...؟ هل أبليت حسنًا؟"

"هل كان نطقي للكلمات سليمًا؟"

"كم ارتكبت من خطأ يا ترى؟"

ثم ترد المعلمة قائلةً:

"أحسنت يا ولدي".

لا داعي لوصف الشعور الذي كان ينتابنا عندما كنا ننال استحسان معلمتنا، فلقد كان ذلك بالنسبة لنا كنيل شهادة التخرج أو اختتام الشواهد الجامعية، فتجد باقي تلاميذ القسم يرمقون زميلهم الذي نال ذاك الاستحسان بنظراتٍ تفيض إعجابًا وغيرةً في الوقت نفسه، فتشتد التنافسية داخل القسم وخارجه أيضًا!
أيُّنا يكون الأفضل!

حتى بعد عودتنا إلى بيوتنا، لا مفر من أن نُطلِع والدينا عمّا نلناه من مكانةٍ عند معلمتنا، فأول ما نفتتح به الكلام بعد السلام، هو إطلاع آبائنا وأمهاتنا عمّا جرى معنا في المدرسة، وكيف أننا لقينا إطراءً من طرف معلمينا، فيكافئوننا حينًا ببعض الدنانير التي عادةً ما ندَّخرها حتى يحين وقت إنفاقها فيما اشتهت أنفسنا، وأحيانًا أخرى ببعض قطع الحلوى اللَّذيذة.

يقول أحد الفلاسفة:

"الكتب سعادة الحضارة، بدونها يصمت التاريخ ويخرس الأدب ويتوقف العلم ويتجمد الفكر والتأمل"

فالكتاب من دون شكٍّ هو حلقة الوصل بين الماضي والحاضر، فيكفينا فخرًا أن نحوز شرف الاطلاع وقراءة ما خيط ونُسج من علومٍ ونظريّاتٍ وأفكارٍ على أيدي علماء ومفكرين وأدباء في القرون السّابقة، وننال أيضًا فرصة تمريره للأجيال القادمة.

ولا أخفيكم سرًّا أنه كثيرًا ما ينتابني الحنين إلى تلك الجلسة الحميميّة التي أعقدها أمام مدفئةٍ، مع كتابٍ من خيرة الكتب التي أحبها، وفنجان قهوةٍ ساخنٍ على الطاولة، خلال جوٍّ ممطرٍ باردٍ لا تجد فيه الدفء إلا بين أحضان كتابك وبين طيّات أوراقه.

فالكتاب ليس فقط عبارة عن ورقٍ وحبر، بل هو أكثر من ذلك بكثير!

الكتاب هو ذاك الصديق الذي يظلُّ بجانبك حين يغادر جميع أصدقائك.

هو ذاك الحبل الذي تتمسك به فيقودك من غياهب الظلمات إلى أنوار العلم والمعرفة.

هو ذاك العطر الفواح الزكي الذي إن لم يعطِّر ريحك، أنعش أنوف من حولك.

هو ذاك القارب الذي يجوب بك البحار شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا،

دون أن تملَّ منه أو تكلّ.

هو ذاك الخِلُّ الوفيُّ الذي لا يخون أبدًا، بل يحتضنك ويأخذ بيدك في

الضرّاء والسرّاء.

دائمًا احتضن الكتاب الذي ينال إعجابك، نم وهو على صدرك،

تنفس صفحاته وأدخله روحك من أوسع أبوابها.

أَعَزُّ مَكانٍ في الدُّنى سَرجُ سابِحٌ

وخَيرُ جَليسٍ في الزَّمانِ كتـابُ

أبو الطيب المتنبي

لا تبخلوا على أنفسكم وتحرموها لذّة ومتعة القراءة، فالقراءة دون مبالغةٍ هي كنزٌ من كنوز الدنيا.

القراءة هي تلك الملكة التي تمنحنا مكانًا آخر نسافر إليه ونتجول فيه ونتأمله كلما اضطررنا للبقاء في أماكننا.

القراءة هي فن الفضول المشروع والتطفل على أفكار الآخرين بأدبٍ جمٍّ عن طريق الكتب.

هي ذلك الجسر الذي ينقلنا من البؤس إلى الأمل، ومن الكآبة إلى السعادة، ومن الثرى إلى الثريا.

هي من أعظم الهبات التي قد ينالها المرء في حياته، هي تلك النافذة التي تسمح للنور بولوج العقل.

هي ذلك البصيص من الضوء الذي يخطف أبصارنا في آخر نفقٍ مظلمٍ نلِج من خلاله إلى عالمٍ خالٍ من المشكلات والمشقات.

القراءة هي أن تذهب بعقلك ومشاعرك خارج حدود الزمان والمكان!

"القراءة بكل بساطةٍ هي نبعٌ من ينابيع الحياة"

١٠

إن مع العسر يسرا

كان نبيُّ الله "أيوب" -عليه السَّلام- رجلًا كثير المال ويمتلك الكثير من الأراضي الواسعة والعبيد والأنعام، وكان له العديد من الأبناء، فابتلاه الله عزَّ وجل في جسده بأمراضٍ عديدةٍ لم يسلم منها سوى قلبه ولسانه، فكان صابرًا محتسبًا شاكرًا ذاكرًا لله في كل وقت.

طال الزَّمن بمرضه عليه السَّلام حتى قاطعه الناس ولم تحِنَّ عليه سوى زوجته، فكانت تعينه على قضاء حوائجه.

خسر "أيوب" -عليه السَّلام- ماله وممتلكاته، ومات أولاده واحدًا تلو الآخر وهو صابرٌ محتسب الأجر عند الله، حتى اضطرَّت زوجته أن تخرج للعمل من أجل تحصيل لقمة العيش.

اضطرَّت زوجته ذات يومٍ لقصِّ إحدى ضفيرتيها وبيعها مقابل طعامٍ طيبٍ كثير، فلما أتت به سيدنا "أيوب" عليه السَّلام سألها:

"من أين لك هذا؟"

فقالت: "خدمت به أناسًا".

وبعد مدَّةٍ من الزمن اضطرَّت للمرة الثانية أن تبيع الضفيرة الأخرى، ولما أتت له بالطعام أقسم ألا يأكل حتى تخبره من أين جاءت به.

فكشفت زوجته عن خمارها، فلما رأى رأسها محلوقةً؛ تألَّم واشتدَّ كربه، وقال:

"ربِّ إني مسَّني الضر وأنت أرحم الراحمين".

استجاب الله دعاء نبيه "أيوب" وكشف عنه ضره، ففي إحدى الأيام إذ بزوجته عليه السَّلام تذهب خارجًا لقضاء بعض الأغراض، فإذ بربنا عزَّ وجل يوحي إليه أن اضرب برجلك الأرض يخرج منها ماءٌ بارد، فاغتسل منه واشرب تَبرأ ممّا أصابك من كافة الأمراض، ففعل "أيوب" ذلك فسرعان ما استردَّ صحته وعافيته بأحسن حال.

عادت زوجته إلى البيت فلما رأته أنكرته ولم تعرفه، فسألته عن "أيوب" وقالت:

"أي بارك الله فيك! هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ فو الله ما رأيت رجلًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا!"

فرد عليه السَّلام قائلًا:

"فإني أنا هو!"

أتم الله نعمه على نبيه فأصلح له حال زوجته، ورد لها جمالها وشبابها، فحملت وولدت، ورزقهما الله مثل أولادهم الذين فقدوهم فيما مضى، وأعطاه الله مثلهم معهم، كما رزق الله "أيوب" رزقًا وفيرًا من المال والمزارع وما لذّ وطاب من خيرات الدنيا ونعيمها.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

الشرح، 5-6

لم تردِ كلمة "العسر" معرّفةً في كلتا الآيتين في حين وردت كلمة "اليسر" نكرةً من فراغ.

لطالما كان القرآن الكريم بجمال آياته مدعاةً للتأمل والتدبر، فكم مررنا على عدة مواضع مرور الكرام، في حين كان يتطلب الأمر منا الكثير من الخشوع والتركيز في التدبر والتعمق في فهم المعنى المراد تمريره والغاية من ذلك.

فإذا كان كل عسرٍ يقابله يسران، فمن دون شكٍّ لم ولن يغلب العسر اليسر أبدًا.

هذه الرسالة الإلهية المتضمَّنة في هذه الآية الكريمة هي جبرٌ للخواطر المكسورة والنفوس التي ضاقت بها الأرض بما رحبت في هذه الدنيا، حتى أصبح العيش في نظرهم نكدًا لا يعرفون حلوه من مرِّه.

هذه الرسالة التي تتسلل للقلوب دون استئذانٍ فتُلقي فيها من الطمأنينة ما يكفي ومن السكينة ما يشفي.

هذه الرسالة التي تخبرك بأسلوبٍ سلسٍ وناعمٍ:

"لا تقلق فالذي بيده العسر، بيده أيضًا يسرٌ كثير"

"الصبر مفتاح الفرج"

تحمَّل يا صديقي،

فإن مع كل عسرٍ يسرٌ كثير،

فالذي استجاب دعوة أيوب وكشف غمّه ومرضه،

واستجاب دعوة يونس وأنقذه من أعماق الحوت،

واستجاب دعوة يعقوب وأعاد إليه يوسف بعد فراقٍ طويلٍ،

واستجاب دعوة زكريا ورزقه ذريةً تقرُّ عينه بها،

قادرٌ على أن يستجيب لك ويعطيك ما في نيتك،

هي مسألة وقتٍ فقط!

قد لا يكون ذلك اليوم، ولا غدًا، ولا بعد غد،

لكنها ستأتي من دون شك!

مادام قلبك يؤمن بذلك!

سيأتي يومٌ تذرف فيه دموع الفرح فتسيل على خديك،

وتبلل الثرى تحت قدميك،

نعم سيأتي،

كن على يقينٍ بذلك!

فصبر "أيوب" لابد من أن تليه فرحة "يعقوب"!

"فصبرٌ جميل"

قد تسقط مريضًا طريح الفراش يومًا من الأيام، وقد لا تستطيع حتى أن تفارق مضجعك.

قد يهجرك أصدقاؤك إلا القليل منهم ممن يساندونك ويربتون على كتفيك.

قد تقع في مشكلاتٍ عويصةٍ في حياتك الشخصية، فتكدر عيشك وتجعله جحيمًا لدرجة أنك قد لا تجد منفذًا منها إلا عن طريق أفكار جنونيةٍ قد تودي بصحتك وحياتك.

قد تتخرج من أعرق الجامعات، وتنال أفضل الشهادات بعد سنواتٍ من الجد والعمل الشاق التي ضحّيت فيها بالغالي والنفيس لتصير ما أنت عليه، وقد تكون أوديت خلالها بشيءٍ من صحتك، ثم لا تجد عملًا تسد به حتى رمقك.

قد يتعذر عليك النجاح في بناء عائلةٍ كباقي أقرانك، أو قد تفشل في إنشاء مشروعك الخاص خلاف من نجح في ذلك من معارفك.

لكن كن صبورًا دائمًا، وتشبع بملكة الصبر التي إن أوتيتها فقد أوتيت الخير كله.

دعه يتغلغل بداخلك وينفذ إلى أعماقك ويداعب حواسك، وتأكد دائمًا أن ربك لن يخيب آمالك وطموحاتك.

١١

كن صباحيًّا

مازِلت أتذكر تلك الأيام التي كنا نجتاز فيها الامتحانات الجامعية، كانت تلك الفترة بدون مبالغةٍ إحدى أصعب الفترات التي كنا نمرُّ بها في حياتنا الدراسية.

كان يضيق بنا ذرعًا ما نواجهه كل يومٍ من عوائق ومشقاتٍ خلال التداريب الميدانية، بالإضافة إلى ما ينتظرنا من أكوامٍ من الدروس المتراكمة والتي نخالها جبالًا أو ناطحات سحابٍ لو نظرنا إليها.

كنا لا نجد الوقت الكافي طيلة النهار من أجل التحضير اللازم، كان الإنهاك والتعب ينال منا فنسقط طريحي الفراش أول ما نعود إلى غرفنا في السكن الجامعي.

كان الأمر أشبه ما يكون بكابوسٍ مزعجٍ يؤرِّقنا طيلة تلك الفترة، ولا نجد سبيلًا لتفاديه أو الهروب منه، إذ كان لزامًا على كل واحدٍ منا أن يواجه أمر واقعه بكل بسالة.

كنا نشدُّ هممنا ونبذل قصارى جهدنا، فكنا لا ننام إلا ساعاتٍ قليلةٍ ونستيقظ قبل آذان الفجر، فنحزم كتبنا وأقلامنا وننطلق إلى

مكتبة حيِّنا الطُّلابي، فنجدها خاليةً يعمُّها سكونٌ يلفت انتباهك في ذلك الوقت!

وكأنه يخاطبك قائلًا:

"هلُمَّ يا طالب المعالي!"

كانت تلك الساعات التي نقضيها في الصَّباح الباكر من خير الأوقات التي اعتدنا الدراسة فيها، رغم مشقة النهوض وترك الفراش الدافئ الذي ما يلبث يغرينا بقضاء مزيدٍ من الوقت في أحضانه.

كانت عقولنا وأجسادنا نشيطةً أيما نشاطٍ في ذلك الوقت، فكنا نفهم دروسنا ونستوعب معلوماتنا بليونةٍ وسلاسةٍ ما بعدها سلاسة، عكس بقية الفترات من اليوم، حيث كنا نصادف صعوبةً ومشقةً في التركيز، فكنا لا ندرس إلا بشقِّ الأنفس.

كان ما يميِّز تلك الفترة الصباحية هو ذلك الهدوء الذي يعمُّ الأجواء ويجلب معه الطمأنينة والسكينة، فلا ضجيج سياراتٍ أو مصانع أو معامل كفيلٌ بأن يزعجك أو يُذهِب تركيزك.

كان ذلك الهواء العليل الخالي من أي شكلٍ من أشكال التلوث حينها يُنعِش حواسي فيُذهب عنّي ما تبقى من الرغبة في النوم، ويُحفِّز فيَّ الشّوق والعزيمة للدراسة.

كنا نجتاز امتحاناتنا بنجاحٍ وقلَّما يرسب أحدنا في إحداها، بل وكنا لا نجد بديلًا من الاستمتاع بالدراسة في ذلك الوقت من اليوم خصيصًا.

فكانت كلما حلَّت بنا ضائقةٌ لا نجد وقتًا للتفرغ لها إلا ولجأنا لتلك السُّويعات التي ألِفنا العمل فيها!

"ساعاتُ الصَّباح تمتلك الذّهبَ في فمها"

مثل ألماني

ليس من الخفيّ أن العمل الجاد وعدم التكاسل في الوقت نفسه من أسرار نجاح المرء في بلوغ مناه وتحقيق أهدافه على المدى القريب والبعيد.

هذه المجهودات التي يبذلها المرء باستمرارٍ لا تأتي من فراغ، بل لها ظروفٌ ومسبباتٌ بل وأسرارٌ يعمل بها حتى يتسنى له إكمال ما بدأه دون تراجعٍ أو استسلام.

لابد أن نتفق على أن الاستيقاظ باكرًا يمثل واحدًا من أبرز هذه الأسرار التي تعطي للفرد دفعةً في حياته سواءٌ الشخصية منها أو العملية.

تلك السّاعات الباكرة في أول النهار هي الفيصل بين هؤلاء الذين تجدهم متَّزنين فيما يقومون به في حياتهم، فتجدهم يسيرون على خطى ثابتةٍ نحو ما يطمحون إليه من أهدافٍ وإنجازاتٍ في شتى المجالات.

وبين أولئك الذين يظلون مستلقين على أسرتهم إلى غاية أوقات متأخرةٍ من النهار، فينهضون وكلهم خمولٌ وكسل، حتى أنهم لا

يجدون أدنى رغبةٍ في فعل أي شيءٍ سوى أخذ قسطٍ آخر من الرّاحة أو العودة للاستلقاء.

فالاستيقاظ في الصّباح الباكر هو مثل تلك الشعلة التي تمُدُّ الإنسان بطاقة سحريةٍ تجعله نشطًا متلهفًا لاستكمال ما شرع به من أعمال، وتجعله أيضًا شغوفًا بما يقوم به، وذلك ما يجنِّبه الوقوع في فخ الملل أو الكلل.

تلك الساعات الباكرة في أول النهار لم توصف بالذهب من فراغٍ، دعونا نتفق على أن أولئك العظماء الذين نقرأ عنهم في الكتب، ونسمع بهم في المدارس والجامعات، لابد وأنه كان لهم نصيبٌ من النهوض باكرًا وترك أسرتهم وأغطيتهم الدافئة من أجل الشروع في إتمام ما بدؤوه .

وما يساعدهم على ذلك هو الذهاب إلى الفراش مبكرًا من أجل النوم، فأخذ قسط كافٍ من الراحة كفيلٌ بأن يمُد الجسم بما يكفي من الجهد والطاقة اللازمة من أجل بذل ذلك المجهود الفكري والبدني يوميًا.

فمن دون شكٍّ أن صحة وسلامة العقل لابد أن تصاحبها سلامة البدن، ومما لا شك فيه أيضًا أن أنشط ما يكون عقل الإنسان فيه هو ذلك الصباح الباكر.

فهؤلاء الذين أَلِفوا ترك أسرتهم والنهوض باكرًا، لا ينعمون فقط بملكة النشاط والحيوية، بل ويتمتعون أيضًا بخصائص بيولوجية لا تجدها عند غيرهم.

فقلَّما تجدهم عكري المزاج أو ضحيةً للاكتئاب أو التوتر أو غيرها من الأمراض النفسية، ذلك أن ملكة النهوض مبكرًا من النوم تحفظهم من كل ما قد يحمل ضررًا عليهم من الناحية النفسية.

هذه الملكة ليست حصرًا على أشخاص فقط دون آخرين، بل يمكن العمل على اكتسابها عن طريق خطواتٍ عمليةٍ تتطلب الكثير من الإصرار والعزيمة وإن كان ذلك ليس بالسهل.

غيِّر موعد نومك تدريجيًا:

إذا كنت ممن يصادف صعوبةً في الاستيقاظ باكرًا كل صباح، فمن المهم معرفة ما إذا كنت تحصل على قدرٍ كافٍ من ساعات النوم، فمتوسط عدد ساعات النوم لدى الشّخص البالغ يقارب ثمان ساعاتٍ يوميًّا.

حاول الابتعاد عن السَّهر قدر الإمكان، وتجنَّب الذهاب إلى الفراش متأخرًا بالليل، فذلك سيزيد الأمر تعقيدًا على ما هو عليه.

<u>قاعدة الربع ساعة:</u>

من أجل الخلود للنَّوم في وقت مبكر، عوِّد نفسك على الذهاب إلى سريرك ربع ساعةٍ مبكرًا كل ليلة، حتى تُكيِّف نفسك تدريجيًّا على مواعيد النوم الجديدة، وستجد نفسك قد أصبحت تأوي إلى فراشك قبل ساعةٍ من موعد نومك الأصلي بعد مرور أربعة أيامٍ فقط.

استرح قليلًا قبل الذهاب إلى النوم:

لن يكون النوم الهادئ بالشيء السهل الذي تناله كل ليلة، لذا لابد أن تستفيد من بعض وقتك من أجل الاسترخاء مساءً، حتى يتسنى لجسمك ويتيسر له النوم فيما بعد.
وحبذا لو كان هذا الاسترخاء بعيدًا عن كل ما يشغل البال ويجذبه من شاشات هواتف وحواسيب وأضواء ساطعة وغيرها.

قاوم الكسل والرغبة في النوم صباحًا:

لابد من أن ينتابك في بادئ الأمر رغبةٌ جامحةٌ في إكمال نومك إبّان رنين المنبِّه صباحًا، بحيث قد تُسكته لا شعوريًا وتعود لمتابعة النوم دون إدراكٍ بما قمت به، وهذا ليس بالشيء الغريب، فاستراق المزيد من الدقائق التي تنعم بها في النوم قد يبدو لك هدفًا غاليًا حينها، لكن كن على يقينٍ أن تلك الدقائق لن تحمل لك معها إلا مزيدًا من التعب والإرهاق، كون ما تقوم به هو نومٌ مجزأٌ ومتقطعٌ لن يفيدك في شيء.

اضبط منبهك قبل موعد استيقاظك:

ينصح العديد من خبراء الصحة بضبط منبه الاستيقاظ من النوم على توقيتين، أحدهما قبل موعد الاستيقاظ المستهدف بساعةٍ

ونصف، كون هذه المدة الزمنية تُعدُّ دورة نوم كاملةٍ يستطيع بعد مرورها الشّخص الاستيقاظ من النوم دون مشاكل أو صعوباتٍ تُذكر.

تناول فطورًا صحيًا:

عوِّد نفسك بعد النهوض من فراشك على القيام بعاداتٍ جميلة، فتتطلع نفسك وتتوق مع مرور الوقت للاستيقاظ باكرًا من أجل القيام بها.

فليكن كأس ماءٍ هو أول ما تُدخله إلى جسمك حتى يتسنى لك ترطيب ذاتك وتصفية جهازك الهضمي، وإن كنت من مدمني القهوة فحاول تأخير شربها حتى لا تقع ضحية ما يسببه الكافيين من توترٍ وضغط نفسي.

تناول فطورًا غنيًا بالحبوب الكاملة والبذور وغيرها، وتجنب السكريات في أول النهار كونها تسبب الإرهاق السريع.

أيام العطلة:

قد تراني أبالغ إن أخبرتك أنه لابد من أن تحافظ على مواعيد استيقاظك حتى في أيام العطلة.

فإذا ما اعتدت السهر والاستيقاظ متأخرًا في أيام إجازتك، فلن يكون من السهل عليك أبدًا العودة إلى ما وصلت إليه من انضباطٍ في النهوض باكرًا.

لكن بالموازاة مع ذلك، يمكنك أن تخصِّص وقتًا بعد الظهيرة لتأخذ قيلولةً تنعم فيها بالراحة وتحافظ من خلالها على نشاطك اليومي.

"بعضنا يحلم بالنجاح، والبعض الآخر يستيقظ لتحقيقه!"

استيقظ باكرًا يا صديقي،

اترك سريرك وغطاءك الدافئ،

انهض واستمر قدُمًا في تحقيق أحلامك،

دع عنك الكسل والخمول،

دعه للجبناء وضعاف النفوس!

وتسلّح بالعزيمة والإصرار والثبات،

توكل على الله وامضِ قدُمًا في سبيلك،

حاول معانقة أحلامك واعمل جاهدًا على ذلك،

لا تيأس وأنت ماضٍ في طريقك،

قد تتعثر تارةً وتسقط تارةً أخرى،

لكن انهض وحاول من جديد،

وانظر إلى الثريا وصوِّب نحو القمر،

فعلى الأقل، إن لم تُصب القمر ستصيب إحدى النجوم!

١٢

اعتزل ما يؤذيك

في هذا الزمان الذي تكثر فيه العلاقات الاجتماعية وتتعدد فيه الصداقات والمعارف الشخصية وغيرها من أنواع الروابط، لابد للمرء أن يكون انتقائيًّا في مخالطته للناس والأخذ بآرائهم.

فمن غير المعقول أن يصاحب المرء من في صحبتهم أذًى له، أو أن يأخذ بآرائهم ويعمل بها في مسائله الشخصية، في حين يترك من مصادقته لهم لا تجلب له إلا نفعًا واستفادة.

وهذا ما نراه عند أغلبية الشَّباب خصوصًا، ففي حين يكون الأولى معاشرتهم لمن يأخذون بيدهم ويذهبون بهم إلى الطريق السويِّ في الحياة، تجد أغلبهم لا يخالطون إلا من سوء أخلاقهم يسبق سمعتهم، ومن لا يخطُون بهم إلا نحو الهاوية.

فالوجع لا يأتي فقط ممّن لا نأمن جانبهم، بل قد يأتيك من كل مكان، حتى من ذلك الصديق الذي كنت تخاله أخًا لك، قد يغدر بك في يومٍ من الأيام ويتركك منكسرًا لا تعرف لملمةً لشتاتك!

"اعتزل ما يؤذيك!"

هذا المنهج الدنيوي الذي سنَّه الصَّحابي الجليل "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه، لا تنحصر صلاحيته في زمانٍ أو مكانٍ معينين، بل تمتد لتشمل جميع الأزمنة والأمكنة.

هذه الكلمات التي تزن ذهبًا، هي عصارةٌ لعدة جلساتٍ من العلاج النفسي ومفتاحٌ للتخلص من جميع العلاقات الشائكة والسّامة في حياة الإنسان.

فالفرد لا يقع في التعب النفسي من فراغ، فالوقوع في الأمراض النفسية التي تثقل كاهله لا يكون إلا نتيجةً لكتمان الضرر الذي تتسبب به تلك الضغوط التي تمارَس عليه من طرف أفرادٍ آخرين يستهلكون طاقته، ويتركون به انطباعاتٍ حزينةٍ قد تكون كفيلةً لتدمير حاضره ومستقبله.

وكم من جريح القلب لم يستطع لملمةً لجراحه فظلَّ منكسرًا مرهق الروح طوال حياته!

هذه العزلة التي تفرضها على نفسك في العلاقات الضارة ليست بشيءٍ سلبيٍّ في حياتك، بل هي بداية الاعتدال والاتزان النفسي بالنسبة لك.

فالعزلة ليست بالشيء السيء إن كانت عزلةً عن المفاسد والمضرات.

فمن البديهي أن اعتزالنا الكلي لبعض أنواع الناس كالمقربين من أفراد العائلة قد لا يكون ممكنًا بالرغم مما قد يسببونه لنا من الأذى، في حين أن هناك أنواعًا آخرين قد لا تجد بُدًّا من اعتزالهم تمامًا والابتعاد عنهم.

فاعتزال الأذى هناءٌ وطمأنينةٌ للروح، ولو لم يكن كذلك لما اعتزل أصحاب الكهف قومهم ولجؤوا إلى مغارةٍ بعيدًا عنهم وعن أذاهم.

فحتى النفس البشرية في بعض أحيانها تجدها توّاقةً لبعضٍ من الوقت تقضيه في انعزالٍ تامٍّ عن محيطها.

ساعة، يوم، شهر أو حتى سنةٌ من العزلة في بيتٍ في البادية أوفي جزيرةٍ منعزلةٍ عن الناس وعن وسائل التواصل بشتّى أنواعها كفيلةٌ بأن تجعل الإنسان قادرًا على إعادة تحليل الأساليب التي يساير بها هذه الحياة، وقادرةٌ على جبر بعضٍ من تلك الكسور التي أحدثها الآخرون.

عوِّد نفسك على خسارة مَن لا يُكِنُّ لك إلا الحقد والضغينة، ومَن صحبته لا تجلب لك إلا الضرر.

فخسارتهم لا تعني نهاية الحياة أو انقطاع الرزق، بل تعني أنك قد اتخذت قرارًا يُثبت استقلاليَّتك وعدم اعتمادك واحتياجك للآخرين.

قد يستطيع المرء التغاضي في بعض الأحيان، لكن في البعض منها لابد من أن يكون جريئًا كفايةً لوضع حدٍّ لكل ما يجلب له الضرر والأذى، بعيدًا كل البعد عن العاطفة.

"فكونك مؤذٍ لي سببٌ كافٍ لكي أعتزلك!"

١٣

تعلَّم قول "لا"!

ليس منا من لم يقع ولو لمرةٍ في حياته بمواقف محرجةٍ بحيث قد يُطلب منه فعل أشياء لو قام بها لكان ذلك يصبُّ في غير مصلحته أو فيما هو ضررٌ له.

فكنا نجد صعوبةً ومشقةً في الرفض والتعبير عمّا في خاطرنا، بل وينال منا التردد وعدم الجرأة على الرد والتصريح ب "لا" في حال تطلب الأمر ذلك.

فأغلب الناس لا يدرون المعنى الحقيقي ل "لا"، إذ يخلطون بينها وبين ما هو سلبي!

فالسلبية تقتضي بأن تعطي ظهرك للآخرين سواءٌ أكان باستطاعتك مساعدتهم وتلبية رغباتهم دون الوقوع في فخ الإضرار بنفسك أم لا.

أما "لا" التي نرد بها في حال الرفض القاطع لشيءٍ ما، ليست إلا وسيلةً نخبر بها الآخر أننا لم ولن نسمح له بلعب دور ذلك العامل الخارجي الذي قد يؤثر سلبًا على قراراتنا، دون إساءة الأدب تجاهه أو تقليل الاحترام في حقه.

إن الدور الذي تلعبه "لا" في حياة الإنسان لا يقتصر على الرد بالرفض فقط، بل هي تخبر المتلقي أن مسؤوليات الطرف الآخر وما يتعلق به تبقى خاصةً به، ولا يجب عليه في أي حالٍ من الأحوال تجاوز ذلك الخط الذي يفصل بين ما هو شخصيٌّ لا يمكن مشاركته مع الآخرين، وبين ما قد يظهر له من مصالح مشتركة يمكن نفع الآخرين بها.

ف "اللّا" هي تلك الأداة التي تسمح لنا برسم الحدود والفواصل في وجه الآخرين والتصدي لرغباتهم ومتطلباتهم المُجحِفة، وهي ما يجنِّبنا الوقوع في فخ العلاقات الزائفة والتي يكون الهدف من ورائها قضاء المصالح ليس إلا.

فعندما تحرِّك لسانك وتداعب به سقف فمك قائلًا "لا" أو تهزُّ رأسك يمنةً ويسرةً، فأنت تعلن بشكل واضحٍ وصريحٍ أن القرارات التي تتخذها لا ترضخ أو تنحني لأي شكلٍ من أشكال الضَّغط أو التعسُّف من الطرف المقابل.

وأن تقديمك يد العون من عدمها رهينٌ فقط بقدرتك على ذلك، ولا يخضع لسيف العلاقات الاجتماعية التي قد تدخلك في دوّامةٍ لا حصر لها من مصالح ورغبات الآخرين.

هذه "اللَّا" قد تختلف زاوية النظر إليها واستيعاب معناها عند كلٍّ من الطرفين، ففي نظر المتلقي هي عبارةٌ عن وسيلةٍ يُبدي بها الطَّرف الآخر استياءه ورفضه لكل المقترحات التي عُرضت عليه، إمّا لكونها تخالف مبادئه وتضرب بها عرض الحائط، أو لكونها لا تصبُّ في مصلحته أو أي شيءٍ من هذا القبيل.

وقد تمتد ليراها المتلقي لبِنةً أساسيةً لا غنى عنها في عالم الأنانية التي قد يراها طاغيةً على قرارات الآخر.

في حين أنَّ هذه "اللَّا" نفسها هي ما يشكل للطرف الآخر مصدرًا للاستقلالية وعدم الاتِّكال على الآخرين بشكلٍ كليّ، فرفض طلب شخصٍ ما لا يعني بالضرورة رفض نفس الشَّخص، لكنه يعني عدم تقبل شيءٍ ما يصدر عنه.

هذا لا يعني تحفيزًا على عدم مساعدة الآخرين أو التراخي في ذلك، فالتعاون والتآزر وغيرها من المبادئ الهادفة لا بد من وجودها وترسيخها مع الآخرين شريطة ألا يحمل ذلك أي نوعٍ من أنواع الابتزاز أو الأذى للطرف الآخر.

يُروى أنّ شابًّا كان مفخرةً بين أقرانه، وكان هو أول شخصٍ يخطر على بال أصدقائه عندما يحتاجون لمن يقدم لهم يد العون، فكان لا يرفض لهم طلبًا.

ذات مرةٍ علم هذا الشاب بأمر خيانة صديقه لزوجته، لكنه كان متردّدًا في الإفصاح عن ذلك خشية ما قد يحدث نتيجةً لذلك.

الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل تجرأ صديقه أن يطلب منه إعارته بيته لقضاء عطلة الأسبوع مع السيدة التي يخون زوجته معها.

كان هذا الشاب في صراعٍ داخليٍّ مع ضميره ومبادئه، فكان مُخيَّرًا بين المشاركة في هذه الجريمة الأخلاقية وبين الرفض حفاظًا على قيمه التي اشتهر بها بين الناس، وخسارة صديقه المقرَّب ثمنًا لذلك. لكنه اتخذ القرار الذي رآه صائبًا في قرارة نفسه وكان:

"لا، لن أفعل ما تريد!"

"حاوِل أن تُعوِّد نفسك على قول لا، عندما لا ترغبُ في قول نعم"

باولو كويلو

كان هذا الرفض دليلًا على نباهة هذا الشاب ونُبل ضميره، كونه لم يقبل بأن يكون شريكًا في فعلة صديقه الآثمة رغم معرفته السابقة بإمكانية خسارة صداقتهما كنتيجةٍ لهذا القرار.

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الحال في جميع العلاقات الاجتماعية، فإذا كان ثمن محبة الناس لك هي قيمك ومبادئك التي نشأت وتربيت عليها، فالأولى من ذلك خسارتهم والابتعاد عنهم.

في بعض الأحيان تلعب هذه "اللّا" دور ذلك الدِّرع الحصين والمتين ضدَّ رغبات وطلبات الآخرين التي قد تفوق حدَّ تصورك في حجم الاستغلالية والمصلحجية التي تفيض بها.

فيكفيك حينئذٍ التصريح ب "لا" بكل ثقةٍ وحزمٍ حتى تخبرهم وإن كان ذلك بطريقةٍ غير مباشرة، أنه ليس من حقهم أن يطلبوا منك ما أرادوا وكيفما أو وقتما أرادوا دون احترامٍ لمرجعيَّتك الدينية ولخلفيتك الثقافية، وغيرها مما يُميِّزك عنهم.

نفس الأشخاص يعتبرون تلك الحدود التي رسمتها في أوجههم تحدياتٍ وعوائق وجب عليهم تجاوزها بجميع الوسائل والطرق دون إلمامٍ بالعواقب أو بما يمكن أن تصير إليه الأمور.

لكن كن على يقينٍ أنّ كل ما تقوم به سيؤتي ثماره مع مرور الوقت، وستتغلب إيجابيات هذا المنهج الذي تبنيته في علاقاتك مع الآخرين على سلبياته.

هذا المنهج الذي ينبني على كون "طلباتك رهنٌ بقدرتي واستطاعتي" وليس العكس، سيمكنك من أن تحظى مع الوقت بمزيدٍ من المساحة الشخصية التي لم تكن تملكها من قبل، وسيصير الناس أكثر جدِّيةً عند القدوم إليك عوض اللجوء إليك في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ تهمُّ بهم.

ناهيك عن حجم الاحترام الذي سيكِنُّه لك الآخرون، كونهم سيلتقطون الرسالة المراد تمريرها إليهم، بعيدًا كل البعد عن العصبية والتمييز.

حتى في حال الحيرة لا تتخذ قرارًا بالرفض أو الإيجاب، كل ما عليك فعله هو الرد بكل وقارٍ وأدبٍ جمّ:

"دعني أفكر قليلًا!"

على سبيل المثال، أو غيرها من التعابير التي تُغنيك عن التفكير واتخاذ القرارات تحت ضغط التوتر الذي يكون مصدره الطرف الآخر.

فمسايرة هذه العلاقات الحَيواتيّة داخل المجتمع تتطلب الكثير من الصبر والتفكير قبل اتخاذ أي قرارٍ كيفما كان مضمونه.

حتى التمرن على انفرادٍ يعود من دون شكٍّ بالنفع على صاحبه في حال كان الأمر يتطلب ذلك.

قف أمام المرآة وتخيَّل نفسك في وضعيةٍ يُطلب منك فيها القيام بأشياء لا طاقة لك بها، أو تخالف مبادئك ولا تمتُّ للواقع بصلة، ثم خُذ نفسًا عميقًا وأجِب بكل ثقةٍ:

"لا، لا أستطيع!"

فمن البديهيّات ألا نستطيع تلبية كل ما يُطلب منا، وإلا صار ذلك استبدادًا عوض أن يدخل في إطار العلاقات الاجتماعية.
لكن المشكلة الحقيقية تكمن في قدرة المرء على استجماع ما يكفي من الجرأة والحزم للإقدام على هذه الخطوة.

فمن غير الخفيِّ أنّ كلمة "لا" لها وقعٌ ليس بالهيِّن على الطرف الآخر، كما أنها ليست بكلمة خفيفةٍ ودافئةٍ على اللِّسان، بل على العكس من ذلك، هي كلمةٌ لها ثقلها وقد يعتبرها الآخرون طعنةً في الصدر.

فهم بالطبع لن يتقبلوها بصدرٍ رحبٍ أو أكفٍّ مفتوحةٍ، بل سيولِّد ذلك داخلهم نوعًا من الشرارة التي سرعان ما قد تشتعل في
قادم الأيام، وذلك ما يدفع الكثيرين للتردُّد في أخذ القرارات وإن كانوا على معرفة سابقةٍ بصحتها.

قد يُنمّي ذلك أيضًا داخل الآخرين نوعًا من الحقد والضغينة، وقد يدفعهم لمحاولة ردِّ الصاع صاعين إن أتيحت لهم الفرصة لذلك.

قد يُقيم هذا الرفض القاطع كذلك وإن كان بطريقةٍ مؤدبةٍ ومحترمةٍ عددًا ليس بالهين من الحواجز والعوائق في وجه تطور العلاقات الاجتماعية.

فردُّ طلب شخصٍ ما بالرفض لا يكون وقعه سهلًا عليه، وإن كان لا يبدي ذلك من خلال ملامح وجهه أو تصرفاته أمامك.

لكنّ ذلك سرعان ما سيمرُّ وستجد أنك قد حصَّنت نفسك ضد تلك الرغبات المُجحفة في حقك، وأن الآخرين قد بدؤوا يُكِنّون لك من الاحترام مالم يُكِنّوه سابقًا.

ف "اللَّا" هي ذلك الدِّرع المنيع الذي تحتمي به من أولئك الذين يظهرون فجأةً في حياتك محاولين استغلالك بجميع الطرق سواءٌ أكانت مشروعةً أم لا، في حين يكون همُّهم الوحيد فقط هو قضاء مصالحهم وحاجاتهم.

١٤

طلبه فريضة

في قديم الزمان، كان هناك بحارٌ يدعى "يحيى النحوي"، كان له قاربٌ صغيرٌ يحمل عليه الناس من ضفة النهر وينقلهم إلى الضِّفة الأخرى.

كان ابن الأربعين سنةً، وكان كل يومٍ يحمل معه عالِمين ليوصلهما إلى الضفة الأخرى، فكانا يجلسان في مؤخرة القارب ويشرعان في تدارس كتبهما حتى أثناء رحلتهما القصيرة، وكان البحَّار يستمع إلى حديثهما وهو يَجدف القارب.

وفي يومٍ من الأيام التفت البحار إليهما وخاطبهما قائلًا:

"حديثكما رائع، أحبُّ أن أستمع إليكما وآخذ عنكما العلم، حتى أستفيد منه وأفيد به فيما بعد".

فقال له أحد العالِمين:

"هذا شيءٌ جميل، عليك بطلب العلم دائمًا، في صغرك وحتّى في كبرك".

فبعد أن أوصلهما ظلَّ "يحيى" يفكر في قرارة نفسه ويردِّد:

"أنا أريد أن أتعلم، إلى متى سأضيع عمري بلا تعلم، ولكني قد كبُرت وأصبح عمري أربعين سنةً، لن يمكنني طلب العلم في هذا السِّن!"

وبينما هو يُفكِّر، مرَّت بجانبه نملةٌ تحمل فوقها نواة تمر، وتريد أن تصعد بها فوق صخرةٍ كبيرة، فنظر إليها، وقال:

"يا لهذه النملة، تحاول رفع ثقلٍ كبيرٍ عليها، وكلما وقعت التمرة تحملها مرةً أخرى وتحاول مجددًا!"

فقال مخاطبًا نفسه:

"لقد كانت النملة تحاول حمل التمرة رغبةً في الوصول، وأنا أيضًا يجب أن أطلب العلم حتى وإن كنت قد كبرت".

وبالفعل في اليوم التالي ذهب "يحيى" ومضى في طريق طلب العلم، فالعلم لا يعرف صغيرًا ولا كبيرًا.

وأخذ يتردد على حلقات العلم، ويستمع لكلام الشيوخ ويدوِّن ما يتعلمه، وسمع ذات يومٍ الشيخ يقول في إحدى الدروس:

"أغلب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد تعلموا وهم كبار السن".

ففرح "يحيى" بشدةٍ وأخذ يزداد في العلم حتى أصبح شيخًا يُعلِّم غيره وصار عالمًا مشهورًا، وكان دائم القول لطلابه:

"اطلبوا العلم ما دمتم أحياءً، ولا تتوقفوا عن طلب العلم حتى وإن كبرتم".

قال رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام:

"من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة"

رواه أبوداود والترمذي

مازالت تراود مخيلتي تلك الذكريات من أيام الطفولة التي كنا نقضيها في الدراسة.

كنا ننهض باكرًا كل صباحٍ فنجد طاولة الفطور جاهزةً تنتظر زائريها، مازال مذاق الحليب الساخن الذي كانت تعده لي أمّي يتجول بين أطراف لساني، ومازال صوت التلفاز الذي كانت تضبطه أمّي على قنوات ترتيل القرآن يداعب مسامعي.

كنا نحزم كتبنا وحقائبنا ونشدُّ الرِّحال إلى مدارسنا، سواءٌ أكان الجو صحوًا أم ممطرًا أم غير ذلك.

لم يكن يُلهينا شيءٌ عن الدراسة بل والاستمتاع بها كذلك، فكنا كغيرنا من الأطفال نحب اللهو واللعب بالخارج مع أقراننا، لكن في الوقت ذاته كنا شديدي اللهفة للدراسة.

كنا نتخذ معلمينا قدواتٍ لنا ونعتبرهم أمثلةً نحتذي بها في مشوارنا الدراسي، بل وكنا نعتبرهم آباءً لنا داخل أسوار المدرسة، لم يكن يثنينا شيءٌ عن الاجتهاد بغية تحقيق أعلى العلامات ونيل أولى المراكز بين زملائنا.

حتى تلك الحيوية التي كنا ننعم بها في طفولتنا كانت تشكل دفعةً قويةً من الحماس والإصرار وعدم التراجع بالنسبة لنا.

أما في أيام التخرج فكان يكفينا شرفًا أن نُلبِس والدينا قبعة العلم، ونتوِّج جهودهم التي بذلوها ليل نهارٍ دونما تذمُّرٍ أو تراخٍ معنا، وننال من رؤوسهم قُبلةً تطيب بها أفئدتنا وترتاح بها ضمائرنا بعد طول عناء.

"اطلبوا العلم ولو في الصين!"

لم يكن حثُّ ديننا الكريم للناس على الإلمام بشتى العلوم أصنافًا وأنواعًا من فراغ، فهذا العلم هو الذي يرفع حضاراتٍ ويقودها إلى الرقي والازدهار في جميع المجالات، ويُنزل حضاراتٍ أخرى اعتقدت بأنه لا انحطاط بعد شموخٍ ولا ضعف بعد قوة.

هذا العلم الذي يُفرِّق بين أقوامٍ فيُكرم حامليه وأصحابه من الناس ويضع الآخرين منزلةً دونهم.
هذا العلم هو ذاك النور الذي يضيء للإنسان دربه ويرشده فيه فيتعرف على مفاتيح مسايرة الحياة من جميع جوانبها، سواءٌ أكان ذلك من الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو غير ذلك، فهو من دون شكٍّ سر نهضة الأمم وتطورها، وبه ترفع الرايات وتحقق الأهداف.

هذا العلم ومهما اختلفت سبُل السَّعي إليه في عصرنا الحالي يظل واحدًا من أهم أسس الحياة لدى الإنسان.

فلولا الطبُّ لانتشرت الأمراض والأوبئة الفتَّاكة ولمات العديد من الناس جرَّاء ذلك.
ولولا علوم الفلك لما استطاع الناس التعمق في أسرار الكون والتطرق إلى خفايا الفضاء والمجرات والنجوم.
ولولا علوم الهندسة لما استطعنا ركوب الطائرات والبواخر، ولما استطعنا كذلك التّعالي في البنيان حتى صارت ناطحات سحاب.

فالعلم دائمًا يُكرِم صاحبه في حياته ويخلِّده بعد مماته، فكل أولئك العلماء النوابغِ في مختلف العلوم والمجالات والذين عاشوا في القرون السابقة ومازال صداهم مدويًا إلى وقتنا هذا، لم يعلموا يومًا أنهم سيفنون وستبقى ذكراهم حاضرةً في الأزمنة التي تليهم، ولم يعلموا أيضًا أن ما يؤسِّسونه من علومٍ ونظرياتٍ ستكون السبب في خلودهم في أذهان الناس.

لكن هذا من دون شكٍّ من باب فضل العلم على صاحبه، فالعلم يبقى ويعمِّر عكس غيره من الماديات التي تزول وتفنى.

"ومن العلم ما قتل!"

يُقال "من عاش على شيءٍ مات عليه"، وهذا ما رأيناه للأسف عدة مراتٍ على أرض واقعنا بين جموع المخمورين وأهل الفساد وغيرهم ممن إذا حَلّوا بأرضٍ ما حلَّ فيها الخراب.

فمن المنطقي أن الذي يعتاد عمل شيءٍ ما منذ نعومة أظافره غالبًا ما سيظل عليه إلى أن تغادر روحه جسده، وكما يقال:

"من شبَّ على شيءٍ شاب عليه".

هذا يُعطي للعلم طابعًا خاصًّا يجعله كالحرز لأولئك الذين يعتنقونه ويضعونه نصب أعينهم، فقلَّما تسمع عن عالِمٍ في مجالٍ من مجالات العلوم المتعددة تطال يده ما هو محظورٌ فعله أو مُجرَّمٌ ارتكابه، فكونه غارقًا في علومه منهمكًا في معارفه، يجعله غير متفرغٍ حتى للقيام بأعماله الشخصية، فكيف باقتراف المحظورات من الأفعال.

فهؤلاء الذين وهبوا أعمارهم للعلم وفروعه بكل ما تحمله الكلمة من معنى لم يفعلوا ذلك عن عبث، فالعاقل لن يضيِّع عمره فيما لن ينفع أو ينتفع به.

فها هو "الجاحظ" واحدٌ من أشهر أدباء العرب في زمانه تسقط عليه رفوف كتبه، فترديه ميتًا.

وها هو العالم النمساوي الشهير "كارل لاندشتاينر" مكتشف الفصائل الدموية تأخذه المنِيّة داخل مختبره الطبي بمعهد "روكفيلر".

وها هو الكيميائي الأمريكي "جيلبر لويس" أحد أهم ركائز الكيمياء في العصر الحديث يُعثر عليه ميتًا ملقًى تحت طاولة الأبحاث في مختبره العلمي بجامعة "بيركلي".

ولن ننسى أب الفيزياء الحديثة "ألبرت أينشتاين" الذي لم يتوقف عن أبحاثه وعلومه حتى وهو طريح الفراش في المشفى إلا قبل أيامٍ قليلةٍ من رحيله.

بل وحتى تلك الحضارات العظيمة التي نقرأ عنها في الكتب والمجلَّدات، ما كان التاريخ ليرسِّخ وجودها لولا ما خلَّفته وراءها من موروثاتٍ فكريةٍ وثقافيةٍ وعلميةٍ وغيرها.

حتى داخل مجتمعاتنا تجد الشخص المتمكن من العلوم والذي يبلغ من المعرفة مبلغًا، يحظى بعلاقاتٍ اجتماعيةٍ خاصة، فتجد معارفه يعاملونه باحترام وجديةٍ ويلجؤون إليه وقت حاجتهم لمعرفة شيءٍ أو الاطلاع عنه وكأنه قاموسٌ مرجعيٌّ بالنسبة لهم.

حتى نظرة الصِّغار له تجدها مختلفةً عن نظرتهم لغيره، فهم غالبًا ما يرون فيه قدوتهم لِما حصل عليه من شهاداتٍ جامعيةٍ ووصل إليه من مناصب أكاديميةٍ تُترجم حبَّه للعلوم وقدر إلمامه بها.

فالعلم من دون شكٍّ كذلك الخِلِّ الوفي الذي تستأمنه على أسرارك ولا تخشى منه غدرًا، ذلك الصديق الذي يُحيي ذكراك بالخير في غيابك وحتى بعد مماتك.

تعلَّموا وعلِّموا أولادكم،

أنشِئوهم على حُبِّ المعرفة واللّهفة لها،

علِّموهم أن الحياة تحلو مع العلم،

وتغدو مُرّةً في غياهب الجهل،

علِّموهم أنه ما خاب من تعلَّم وعلَّم غيره،

وأنه ما أفلح من أعرض عن اكتساب المعرفة ونشرها!

أرشدوهم إلى دروب العلم وخذوا بأيديهم وهم يقطعونها،

أسنِدوهم إذا تعثَّروا وأنهِضوهم إذا سقطوا،

علِّموهم أن طلب العلم من المهد إلى اللّحد،

وأن التعلَّم لا يُقيِّده العمر!

علِّموهم أن مرارة التعلُّم ماهي إلا لحظاتٌ وتزول،

لكن مرارة الجهل تظلُّ مدى الحياة!

علِّموهم أن العلم نورٌ والجهل ظلمات!

١٥

لا تقلق...فالأرزاق بيد الله!

رُوي عن نبي الله "سليمان" -عليه السَّلام- أنه في يومٍ من الأيام رأى نملةً تقوم بجرِّ حبة قمح بجهدٍ ومشقةٍ إلى جحرها.

فقال لها سيدنا "سليمان" -عليه السَّلام- وقد علَّمه الله عزَّ وجل لغة الحيوانات:

"كم يكفيك من حبوب القمح لمدة عام؟"

فأخبرته النملة: "حبتان".

فقال لها سيدنا "سليمان" -عليه السَّلام-:

"سوف أضعك في صندوقٍ وأجعل لك حبتين تكفيانكِ لمدة عام، بدلًا من بحثك وتحملك مشقة العثور على حبوب القمح وحملها إلى جحرك".

وبالفعل أخذ سيدنا "سليمان" -عليه السَّلام- النملة وأغلق عليها داخل صندوقٍ ووضع لها حبتين من القمح، ثم جاء إليها بعد مرور عامٍ فوجد النملة قد أكلت حبةً واحدةً وتركت الأخرى، فتعجَّب من فعلها وسألها:

"ألم تخبريني أنكِ تأكلين حبتين في السَّنة؟ وقد تركتك عامًا كاملًا ولكنك أكلتِ حبةً واحدةً فقط!"

فقالت النملة:

"كانت تكفيني حبتان وكان الله لا ينساني ويرزقني، أما عندما أقفلت عليَّ في هذا الصندوق، خفت أن تنساني فأكلت حبةً وادّخرت حبةً للسَّنةِ المقبلة حتى لا أموت جوعًا!"

"الرزق نوعان: رزقٌ يطلبك، ورزقٌ تطلبه

فأما الذي يطلبك فسوف يأتيك ولو على ضعفك

وأما الذي تطلبه فلن يأتيك إلا بسعيك، وهو أيضًا من رزقك

فالأول فضلٌ من الله، والثاني عدلٌ من الله"

الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

الرزق أيها الأحبَّة هو ما يدفع الناس باختلافهم للنهوض في الصَّباح الباكر والخروج للعمل بصفةٍ يوميةٍ بغية تحصيل لقمة العيش لهم ولعائلاتهم.

هو ما يدفعهم للعمل بجدٍّ رغم التَّعب والإرهاق من أجل تحصيل مأكلهم ومشربهم وملبسهم وغيرها من المتطلبات الضّرورية لضمان عيشٍ كريمٍ، وسط عالمٍ تطغى عليه الماديّات بشكلٍ جعل الحياة تدور فقط عليها.

لكن هذا الرزق لا ينحصر فيما يراه الناس ويتصورونه على أنه مالٌ وما جاوره من عقاراتٍ وسياراتٍ فقط، بل يتجاوز ذلك إلى أشكالٍ عدة.

فحسن الخُلق رزقٌ، ولباقة اللسان رزقٌ، والزوج أو الزوجة الصالحة رزقٌ، والعلم رزقٌ أيضًا، بل وحتى توفيقك للصلاة والصيام رزقٌ من ربك.

يقول "ابن منظور" في "لسان العرب":

"الرِّزق هو ما تقوم به حياة كل كائنٍ ماديًّا كان أو معنويًّا".

فهذا الرزق الذي تطلبه ينبني من دون شكٍّ على جميع مجهوداتك التي تبذلها بغية الحصول عليه.

فالذي ينال شهاداتٍ جامعيةٍ ويجتاز مباريات التوظيف ويبحث هنا وهناك عن لقمة العيش، والذي ينهض كل صباحٍ ويترك فراشه للذهاب للعمل خارجًا، بل وحتى الحيوانات من طيورٍ وسباعٍ عندما تترك أعشاشها وجحورها بحثًا عن فرائسها وما تقتات عليه، فهي تبحث في نفس الوقت من دون شكٍّ عن ذلك الرزق الذي يُطلب والذي هو عدالةٌ إلهيَّةٌ تُنصِف ما يبذلونه من جهدٍ وعمل.

أما الرزق الذي يَطلبك فكن مطمئنَّ البال إزاءه، فما هي إلا مسألة وقتٍ حتى يكون بين يديك ونُصب عينيك.

فرزق الإنسان مكتوبٌ ومحفوظٌ حتى قبل خروجه من رحم أمه، فالذي لا ينسى سمكةً في قاع البحر، كيف له أن ينسى عبدًا يسعى ليل نهارٍ لتحصيل قوته بشتّى الوسائل المشروعة والمتاحة!

"هل المال يجلب السعادة حقًّا؟"

ممّا لا يختلف عليه عاقلان أنَّ المال من ضروريات الحياة الأساسية في عصرنا الحالي، فهو يسهِّل على المرء قضاء أموره بشكلٍ كبيرٍ ويعطيه دفعةً قويةً في مشواره العملي، ويُمكنه من القيام بأشياء ليست في استطاعة ومقدرة من يفتقر إليه.

فمن دون شكٍّ أن الحياة دونه متعسِّرةٌ وشبه مستحيلة، فوجوده من الأولويّات في عصرنا الذي يرتبط كل شيءٍ فيه تقريبًا بما هو مادي. لكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل هذا المال فعلًا هو مصدرٌ للسعادة؟

تلك السعادة التي تغمرنا عندما نحصل على هديَّةٍ ماديةٍ قيِّمةٍ فنطير فرحًا على سبيل المثال، هي ليست إلا سعادةً مؤقتةً وزائفةً إن صحَّ التعبير، وسرعان ما ستتلاشى مع مرور الوقت، فهي متعلقةٌ بمدى استمرارية انتفاع الشخص من تلك الهدية، فالأشياء الماديّة سرعان ما يعتاد عليها المرء فتصبح مألوفةً عنده مع مرور الزمن فتبدأ بفقدان قيمتها شيئًا فشيئًا.

حتى عند اقتنائنا لمشترياتٍ جديدةٍ على سبيل المثال، تغمرنا سعادةٌ ما تلبث أن تغادرنا بسرعة، كون السعادة الحقيقية لا ترتبط بالماديّات من الأمور.

صحيحٌ أن المال قد يزيد من مقدار سعادة المرء أو قد ينقص من أحزانه في بعض الحالات، لكن لا يمكن له في أي حالٍ من الأحوال أن يخلق لصاحبه وسطًا يظلُّ فيه سعيدًا مدى حياته.

بخلاف السَّعادة الحقيقية التي تنبع من صميم القلب وتُتَرجم بأحاسيس ومشاعر صادقةٍ، وحتى بإيماءاتٍ وحركاتٍ عفويّة.

فلو كانت السعادة حقًّا متعلقةً بالمال فقط، لما وجدنا كثيرًا من الناس رغم ضخامة ثرواتهم التي تُعدُّ ولا تُحصى غير راضين عمّا هم فيه، بل وقد تجدهم ضحايا للاكتئاب والأمراض النفسية المزمنة؛ ولما وجدنا آخرين في الوقت نفسه يعيشون في سعادةٍ بالغةٍ وهناء بالٍ رغم أنهم لا يمتلكون شيئًا غير ذلك المرتب الشهري البسيط، أو ما يسدون به رمقهم في أفضل الأحوال.

فالسعادة متباينةٌ في نظر الناس، فمنهم من يراها في الجاه والمنصب، ومنهم من يراها في المال والغنى، ومنهم من يراها في تعاطي المخدرات ومنهم من يراها في غير ذلك.

لكن السعادة الحقيقية هبةٌ ربانيّةٌ تُعطى لبعض النفوس وتُحرم الأخرى منها، فالسعادة الحقيقية تكمن في كل ما هو إيجابيٌّ ومعنويٌّ في الوقت نفسه.

السعادة تكمن في حبِّ الخير للآخرين وترك الحسد والحقد والبغضاء وغيرها من مساوئ الأخلاق.
السعادة تكمن في القناعة والرِّضا بالحاضر من الرزق وترك التذمر والتشاؤم في الغائب منه.
السعادة تكمن في قوة الإيمان وثباته بالله عزَّ وجل.

فإذا كانت السعادة شيئًا معنويًّا، فكيف لها ألا تكون متعلقةً بهذا الإيمان؟!
فكلَّما زاد هذا الإيمان إلا وازدادت معه سعادة المرء، وكلما نقص

وضعف، إلا وتراكم مع ذلك المزيد من القلق والاكتئاب والتفكير السلبي...

خاتمة

قد تكون متعبًا وخائر القوى!

قد تحيط بك المصائب والمشكلات من جميع النواحي!

لدرجة أنك لا تجد مُتنفسًا يهدأ فيه بالك ولو لهُنيهاتٍ معدودات،

وقد يصل بك الأمر حدّ الاستسلام في بعض الأحيان،

لكن ضع في بالك دائمًا أنه مادام قلبك ينبض فهناك أمل،

ومادامت روحك تتنفس فهناك رجاء،

امضِ ولا تبالِ!

نحو ذلك البصيص الخافت من النور الذي يلوح في الأفق،

حيث ستجد سكينةً لبالك وطمأنينةً لروحك!

الفهرس

إهداء.......................................5

مقدمة.......................................9

مع الله......................................11

السَّلام عليك يا رسول الله.........................17

وبالوالدين إحسانا..............................24

كن عند الشَّدائد رجلا............................40

توكلوا ولا تتواكلوا..............................50

كن حييًّا ولا تكن خجولا..........................58

لا تحكم على الناس من مظاهرهم...................68

كن طموحا...................................80

اقرأ..92

إن مع العسر يسرا..............................104

كن صباحيّا..................................114

اعتزل ما يؤذيك...............................128

تعلَّم قول "لا"!...............................134

طلبه فريضة...146
لا تقلق...فالأرزاق بيد الله!..................................160
خاتمة 171

دار القلم للنشر والتوزيع

جميع الحقوقِ محفوظة

978 9920 626 82 8

د. عمر الكرمة

خريج كلية طب الأسنان بالرباط.
كاتب ومدون مغربي.

وبين زوايا قلبي المظلمة، لمحت ذاك البصيص الخافت من النور يلوح في الأفق.
خطوت إليه مسرعًا، ركضت ثم هرولت تجاهه علّي أجد منفذًا مما أنا فيه.
كان ذاك أشبه ما يكون بكابوسٍ مزعجٍ لا ينقضي.
وكأن ترانيم الخريف حين تتساقط أوراق الأشجار تحكي ما في جعبتي من حزنٍ وتعب!
وكأن روحي ضائعةٌ وسط متاهةٍ لا أدري أين المخرج منها!
انتظرت ثم انتظرت مطولاً تفتح الأزهار التي تفوح عبقًا يُنعِش الحواس في فصل الربيع.
لم يكن انتظاري دون جدوى، فقد وجدت لملمةً لشتاتي بعد تيهٍ طويل.
وكأني قد وُلِدت من جديد!